محاولات إحياء الخلافة الأموية في الأندلس (٣٩٩هـ/١٠٠٨م-٤٠٩ هـ/١٠١٨م)

يوسف أحمد بني ياسين*

ملخـص

غابت الأسرة الأموية عن ممارسة دورها السياسي في الدولة منذ وفاة الحكم المستنصر، وطيلة استبداد المنصور ابن أبي عامر وأبنائه بها، حتى طمح العامريون إلى إلغاء الخلافة الأموية وإقامة خلافة عامرية عوضاً عنها، فتحرك بنو أمية إزاء ذلك لاستعادة خلافتهم، وما كادوا ينجحون في مسعاهم حتى دخلوا في صراع داخلي(أموي-أموي) أضعفهم، ودفع المشروع الحمودي الإدريسي إلى الظهور والاستيلاء على الخلافة تحت غطاء وراثة الخليفة هشام المؤيد، مما حدا بالأسرة الأموية مرةً أخرى إلى محاولة إحياء خلافتهم، واستعادتها من بني حمود.

هدف البحث إلى بيان موقف الأمويين من مشروع الخلافة العامرية، والخلافة الحمودية، وتناول ذلك من خلال:

١. الانقلاب العامري، واستعادة الخلافة الأموية على يد المهدي والمستعين.
٢. قيام الخلافة الحمودية وبيان أسس شرعيتها، ثم قيام حركة المرتضى الأموي ضدها.

وقف البحث عند فشل حركة المرتضى؛ كونها المحاولة الأخيرة الجامعة للأمويين ولقسم كبير من أبناء الأندلس في السعي إلى إحياء الخلافة الأموية بعد نهايتها على يد الحموديين.

الكلمات الدالة: إحياء الخلافة الأموية، الانقلاب العامري، الخلافة الحمودية، الخليفة المنتصر، حركة الخليفة المرتضى.

تمهيد

لم يبق الحاجب المنصور بن أبي عامر (٣٦٦/٩٧٦م-٣٩٢هـ/١٠٠١م) في فترة حجابته للخليفة هشام المؤيد، سوى اللقب الخليفي، مجرداً إياه من كل صلاحيات الخليفة المعهودة [(١)]؛ لأنه

---

* قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحث ٢٠٠٨/٩/٢٥م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٩/٣/٢٤م.

١. النويري، شهاب الدين أحمد (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، **نهاية الأرب في فنون الأرب**، تحقيق: أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة، ١٩٨٠م: ٤٠٤/٢٣؛ ابن عذاري، أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٤٠٨م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: ج. كولان و ل. بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م: ٢٧٦/٢؛ ابن خلدون، عبد الرحمن ت: ٨١١هـ/١٤٠٤م، **العبر وتاريخ المبتدأ والخبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨م: ٣٢٠/٤؛ المقري، أحمد بن محمد (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣٢م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م: ٣٩٧/١.

لم يكن يخشاه، ولا أقرباءه المروانيين الذين قتلهم وشردهم، حتى "أفنى من يصلح منهم للولاية"[٢]، ومع ذلك فقد أبقى على تعظيم منصب الخلافة[٣]، وهو "ظاهر يخالفه باطن" كما ذكر ابن خاقان[٤]، ثم فكّر في الاستيلاء على منصب الخلافة وعزل الخليفة هشام المؤيد؛ لإلغاء الخلافة الأموية، وتحويلها إلى خلافة عامرية، فجمع بعض مستشاريه وطرح عليهم الفكرة، لكنه عدل عن رأيه؛ تهيباً من الأمر، وأبقى لهشام المؤيد لقب "الخلافة" وأبقى لنفسه لقب "الحجابة"[٥] التي وليها ولده المظفر عبد الملك (٣٩٢هـ/١٠٠١م-٣٩٩هـ/١٠٠٨م) من بعده وكأنها" حق طبيعي اكتسبه بالوراثة""[٦].

ساور الناس حين مات المنصور-ولا سيما بني أمية- أمل في الخلاص من الاستبداد العامري، فما أن تسلم المظفر الحجابة[٧]، حتى تحرك بعضهم لمحاولة الانقلاب عليه، وإعادة السلطة الفعلية للخليفة هشام المؤيد، ووصلت جموعهم حتى باب القصر مطالبين بإظهار الخليفة، وتسليمه سلطاته[٨]،التي اغتصبها منه الحاجب المنصور، لكنهم لم يجدوا العون من الخليفة نفسه، ففرق الحاجب المظفر جموعهم وهزمهم،[٩] وعاد الأمر إلى سيرته الأولى من استبداد الحاجب بالخليفة.

لم يستسلم بنو أمية بفشل حركتهم تلك، لكنهم يئسوا من الخليفة هشام المؤيد، وشرعوا في البحث عن شخص أموي آخر، علّهم يحققون مرادهم على يديه، فانعقد أمرهم على أبي بكر هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي – وهو ابن عم الخليفة هشام المؤيد – والتفوا

---

٢. النويري، **نهاية الأرب**، ٤٠٦/٢٣؛ ابن الخطيب، لسان الدين (ت: ٧٦٦هـ/١٣٨٤م)، **أعمال الأعلام**، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المكشوف – بيروت، ١٩٥٦م، ٨١-٨٢.

٣. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر – بيروت، ١٩٨٣م، ٦٧٧/٨؛ ابن خلدون، التاريخ: ٣٢٠/٤.

٤. ابن خاقان، محمد بن عبيد ا (ت: ٥٢٩هـ/١١٣٥م)، **مطمح الأنفس**، تحقيق: محمد شوابكة، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٣م، ٣٨٩؛ انظر، ابن عذاري، **البيان**: ٢٧٤/٢.

٥. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **رسائل ابن حزم**، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ٨٦/٢.انظر للمزيد حول رغبة المنصور في ذلك: يوسف بني ياسين، **الاستبداد والمعارضة، المنصور بن أبي عامر نموذجاً**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، ع١،مج١،تشرين الثاني،٢٠٠٧م،ص ص٢٢-٥٢.

٦. إبراهيم بيضون، **الدولة العربية في إسبانيا**، دار النهضة العربية، بيروت،ط٣، ١٩٨٠م: ٣٦٧، محمود مكي، **تاريخ الأندلس السياسي، بحث منشور في ندوة الحضارة الإسلامية في الأندلس**، تحرير سلمى الخضرا الجيوسي، نشر مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط٢، ١٩٩٩م:١/ ٩٦.

٧. النويري، **نهاية**، ٤٠٦/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**: ٣/٣؛ المقري، **نفح**: ٤٢٣/١.

٨. ابن سعيد، علي بن موسى (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق، شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ١٩٧٨م، ٢٠٢/١؛ النويري، **نهاية**: ٤٠٦/٢٣، محمد عبد ا عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأول، القسم الثاني، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة،ط٣، ١٩٨٨م، ٦٠٧-٦٠٨.

٩. النويري، **نهاية**، ٤٠٦/٢٣.

حوله "لقطع دولة ابن أبي عامر، قطعاً لا بقية معه"[١٠]، فنظموا أمر ثورتهم بمساعدة من ابن القطاع، وزير المظفر، ولكن المحاولة أحبطت، وقُتل المرشح والوزير، ليقظة المظفر[١١].

عادت- بفشل هذه المحاولة -علاقة الحاجب العامري بالخليفة الأموي إلى سابق عهدها، فسار الحاجب المظفر على سيرة والده المنصور[١٢]، من تعظيم الخليفة، وقلة لقائه، مع الإبقاء على الاستبداد بالدولة[١٣]، والتلطف للناس حتى أحبوه وامتدحوا أيامه[١٤]، واستمرت سياسته على ذلك حتى وفاته سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م.

١. الانقلاب العامري (مشروع الخلافة العامرية):

مثلت حجابة عبد الرحمن بن المنصور المعروف بشنجول بعد أخيه عبد الملك المظفر للخليفة هشام المؤيد، نقطةً فارقةً في تاريخ الأندلس؛ إذ ما إن تسلّم المنصب حتى تلقب بـ"الحاجب الأعلى المأمون ناصر الدولة"[١٥]، وهو أمر غير معهود، ولا مسبوق، فأنكر الناس عليه وعلى الخليفة هشام المؤيد تسميه بهذا اللقب الذي كان خاصاً فيما مضى من أيام بالخلفاء وحدهم، وعدوا ذلك منه جهلاً وجرأة، بل كانت من "بوادره المستنكرة"[١٦]، وأضاف إلى ذلك تغيير طريقة معاملة الخليفة، فبعد أن كان سلفاه يقلان من إظهاره للناس ولقائه على الملأ، نجده قد عمد إلى الإفراط في لقائه ووصله، فكان ذلك من "أشد ما غيره عبد الرحمن" في سياسة أسلافه[١٧].

أما الأمر الأخطر فهو اجتراؤه على ما تبقى من رسوم الخلافة الأموية؛ هادفاً إلى نقل الخلافة من الأسرة الأموية وإحلالها في الأسرة العامرية[١٨]، بتعيين نفسه ولياً لعهد الخليفة هشام المؤيد؛ إذ طلب منه بعدما رأى ضعفه وعدم إنجابه أن يوليه عهده، فأجابه الخليفة إلى ذلك[١٩]، وصدر عن القصر كتاب بنص ولاية العهد في ١٥ ربيع الأول ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، الذي أصبح به الحاجب

---

١٠. ابن بسام، أبو الحسن علي (ت: ق ٥هـ/١١م)، **الذخيرة في محاسن الجزيرة**، تحقيق، إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت، ١٩٧٩م، ١٢٥/١/١.

١١. المصدر السابق، ١٢٥/١/١-١٢٧؛ ابن عذاري، **البيان**، ٢٧/٣-٣٥.

١٢. ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٧/٨؛ المقري، **نفح**، ٤٢٣/١.

١٣. ابن عذاري، **البيان**، ٤٠/٣.

١٤. ابن سعيد، **المغرب**، ٢١٢/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ٣/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٨٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٣/١،عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢، ٦٠٨ ؛عبد الكريم التواتي، **مأساة انهيار الوجود الإسلامي بالأندلس**،مكتبة الرشاد-الدار البيضاء،١٩٦٧م،١٩٨؛ إبراهيم بيضون، الدولة العربية،٣٦٨.

١٥. ابن عذاري، **البيان**، ٣٧/٣-٣٨؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٢٤.

١٦. ابن عذاري، **البيان**، ٤٢/٣؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٢٤.

١٧. ابن عذاري، **البيان**، ٣٩/٣.

١٨. عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢: ٦٢٥، التواتي، **مأساة انهيار**،٢٠٤..

١٩. الحميدي، محمد بن فتوح (ت: ٤٨٨هـ/١٠٩٥م)، **جذوة المقتبس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٩م: ١٧؛ ابن الكردبوس، عبد الملك التوزري (ت: أواخر القرن السادس الهجري)، **الاكتفاء في أخبار الخلفاء**، تحقيق، أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، مج١٣، ١٩٦٥-١٩٦٦م،٦٧؛ ابن سعيد،**المغرب**،٢١٣/١؛ ابن الأثير،**الكامل**، ٦٧٩/٨؛ النويري، **نهاية**، ٤٠٧/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**: ٣٩/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٠؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢١/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٤/١.

عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المعافري، ولياً لعهد الخليفة هشام المؤيد الأموي " **هذا ما عهد به أمير المؤمنين هشام المؤيد با إلى الناس عامة، وعاهد ا عليه من نفسه خاصة، وأعطى به صفقة يمينه، بيعة تامة، بعد أن أمعن النظر.... وتقصى عند ذلك طبقات الرجال من أحياء قريش وغيرها، ممن يستحق أن يسند الأمر إليه، ويعول في القيام به عليه، ممن يستوجبه بدينه وأمانته....فلم يجد أحداً هو أجدر أن يقلده عهده، ويفوض أمر الخلافة إليه بعده،.... ناصر الدولة أبي المطرف عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر**" [٢٠]، وهو الأمر الذي تردد فيه المنصور كما ذكرت سابقاً، ولم تشر المصادر إلى أنه خطر للمظفر على بال، رغم أعمالهما العظيمة، ومآثرهما العديدة، وإمكاناتهما المتوافرة في الظفر بها، لكنهما لم ينتزعا من الخليفة الأموي تلك المظاهر الشكلية. [٢١]

أعد ولي العهد الجديد بمناسبة حصوله على منصب ولاية العهد، حفلاً عاماً حضره سائر أهل الدولة، والوزراء، وقاضي الجماعة، والفقهاء، والعدول، وأصحاب الشرط، ووجوه الناس على طبقاتهم، وقرئ أمامهم كتاب ولاية العهد[٢٢]، ثم أرسلت الكتب إلى سائر مدن الأندلس، وبطيها الأمر بالدعاء لولي العهد الجديد على المنابر عقب الدعاء للخليفة، ثم عاد إلى الزاهرة – عاصمة العامريين – فارتدى بها "ثوب الخلافة"، وجلس للناس مجلساً حافلاً ليتقبل منهم التهاني[٢٣].

فرح أصحاب عبد الرحمن بن المنصور وخدمه، بما تهيأ لمولاهم من أمر توليه ولاية العهد "وطاروا بها كل مطار، وغبطوه بأخذها، وشد اليد عليها، يحسبون بجهلهم أن مرامها سهل المتناول"[٢٤]، وهؤلاء جلهم من البربر – أنصار أبيه وأخيه –، وهم من نسب بنو أمية إليهم "تغلب المنصور وبنوه" على الدولة[٢٥]، وشايعهم في ذلك بعض الشعراء المتكسبين[٢٦].

لم يتقبل معظم الناس أمر "نقل المملكة (ولاية العهد) عن خلفائها، إليه من غير تأول ولا أهلية، ولم يشاور فيها نصيحاً، ولا فكر في عاقبة"[٢٧]، باعتبار أن ما اجترأ عليه عبد الرحمن يعد "تحولاً جذرياً في نظام الحكم في الأندلس، فإن معناه خروج الأمر من المروانية إلى العامريين"، وسيمنح هذا المرسوم"اللاشرعية العامرية" مشروعية، وسيهيئ لها الظروف المناسبة لقيام ملك مستقل

---

٢٠. انظر نص كتاب ولاية العهد في، ابن بسام، **الذخيرة**: ١٠٤/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ٤٤/٣؛ النويري، **نهاية**، ٤٠٨/٢٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩١؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢١/٤؛ المقري،**نفح**، ٤٢٤/١؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢، ٦٢٦-٦٢٧.

٢١. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة،الإسكندرية،١٩٩٩م :٣٤٥؛ مكي، **تاريخ الأندلس**، ١/ ٩٧.

٢٢. ابن بسام، **الذخيرة**، ١٠٤/١/١-١٠٥؛ النويري، **نهاية** : ٤٠٨/٢٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩١، ٩٣.

٢٣. ابن عذاري، **البيان**، ٤٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٣-٩٤، ٩٦.

٢٤. ابن عذاري، **البيان**، ٤٢/٣-٤٣.

٢٥. ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤-٣٢٥.

٢٦. انظر نماذج من أشعارهم في المناسبة، ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٤-٩٦.

٢٧. ابن عذاري، **البيان**، ٣٩/٣.

معترف به رسمياً،[٢٨] فنقم "أهل الدولة عليه ذلك" [٢٩]، وانفتح به "باب الفتنة العظمى"[٣٠].

ظهرت النقمة على ولي العهد الجديد، منذ اللحظة التي بدأ بها مشروعه، فوصِف أهل الدولة أنهم دخلوا لتهنئته "وقلوبهم منكرة عليه"، أما العامة فقد دخلوا " لتهنئة المغرور عبد الرحمن بهذه المنحة، التي كانت عندهم أشد محنة، كلهم يعزي عنها نفسه، ويكفكف عليها عبرته"[٣١]، بل وتجرأ بعضهم واعترض جهراً على الدعاء له بولاية العهد عقب الدعاء للخليفة في المساجد[٣٢].

أما بنو أمية – المبعدون عن الخلافة – فقد أكرهوا للدخول إليه لتهنئته، وكانت "تبدو عليهم في ظاهرهم الاستكانة والكبوة.. وخرجوا من عنده وقلوبهم ذؤوبة عليه، موقدة ببغضه"[٣٣]، فهم كارهون للاستبداد العامري، منذ أيام المنصور بن أبي عامر، و"يرتقبون عادة الدهر بالكرة التي تعيد الأمر(الخلافة) إليهم، منسلخاً عن العامرية، فهم يتعللون بالأحلام، وأضغاث المنام"[٣٤]، وكان هذا شأنهم في حال الاستبداد، أما الآن ومع ما أحدثه عبد الرحمن بن المنصور من مشروع اغتصاب الخلافة منهم بالتسمي بولاية عهد الخليفة هشام المؤيد، فالأمر بجملته قد تغير، إنه "انصراف العهد إلى بني عامر، وخروجه عن بني مروان"[٣٥]، لذا لا بد من العمل على استعادة سلطة الخلافة وولاية العهد من بني عامر إلى بني أمية، بشتى الطرق والوسائل.

٢. استعادة الخلافة:

وحـّد فعل الحاجب ولي العهد عبد الرحمن العامري صف البيت الأموي، فاتحدت كلمتهم واتفقت آراؤهم، وأجمعوا على الخلاص من العامريين[٣٦]، والخليفة الضعيف هشام المؤيد[٣٧]، فبدأوا بالاتصال مع الناس وخاصةً مؤيديهم لتدبر أمرهم، ووجدوا صدى مشجعاً إزاء ذلك[٣٨]، وساعدهم على ذلك سوء إدارة عبد الرحمن بن المنصور، وانغماسه في ممارسات شائنة لم يعتدها الناس من سلفيه، فتزايدت النقمة عليه[٣٩].

سبق أن حاول الأمويون الثورة على العامريين؛ من أجل الإطاحة بهم، أيام الحاجب المظفر بن

---

٢٨. التواتي، **مأساة انهيار**،٢٠٤.
٢٩. ابن الأثير، **الكامل**، ٦٧٩/٨؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٣/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٦/١.
٣٠. ابن سعيد، **المغرب**، ٢١٣/١؛سالم،**تاريخ المسلمين**،٣٤٣.
٣١. ابن عذاري، **البيان**، ٤٦/٣-٤٧؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٣.
٣٢. ابن عذاري، **البيان**، ٤٧/٣.
٣٣. المصدر السابق، ٤٧/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**: ٩٣.
٣٤. ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٠.
٣٥. المصدر السابق، ٩٠؛ ابن سعيد، **المغرب**، ٢١٣/١؛ النويري، **نهاية**، ٤١١/٢٣.
٣٦. ابن الأثير،**الكامل**، ٦٧٩/٨؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤؛ ابن الكرديوس، **الاكتفاء**، ٦٧؛ المقري،**نفح**، ٤٢٦/١.
٣٧. ابن حزم، **رسائل**، ٨٣/٢؛ المراكشي،**المعجب**، ٣٠؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤.
٣٨. ابن الأثير،**الكامل**، ٦٧٩/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٤٢/٣-٤٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٠؛ المقري، **نفح**، ٤٢٦/١.
٣٩. النويري، **نهاية**، ٤١٠/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ٤٧/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٤ ؛عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢، ٦٢٣-٦٢٤.

المنصور، حينما التفوا حول هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر في محاولة منهم للخلاص من الاستبداد العامري، لكنهم لم يفلحوا، فأعادوا الكرة أيام حجابة عبد الرحمن بن المنصور، والتفوا حول ولد الثائر القتيل، محمد بن هشام، الذي تسلم زمام الحراك الأموي الهادف إلى الخلاص من العامريين، منذ اللحظة التي قتل فيها والده [٤٠]؛ إذ تعاظم لديه كره بني عامر لاستبدادهم بالدولة، ولقتلهم كذلك والده، "فلم يجسر أحد من بني أمية في القيام على بني عامر سواه"[٤١]، وأيده في ذلك "سائر ولد أبيه الناصريين، وقومهم المروانية، فجدوا في معونته، وكلمتهم يومئذ في بغضاء العامريين متفقة، ونفوسهم من مخافتهم مختلسة"، فاتفقوا عليه، وبايعوه على الأمر سراً[٤٢].

تشكلت من هذه الوحدة الأموية جبهة عمل سرية، مناهضة للسلطة العامرية من جهة، ولهشام المؤيد الضعيف غير القادر على مجابهة الاستبداد العامري، بل والذي تنازل لهم عن الخلافة من خلال منح عبد الرحمن بن المنصور ولاية عهده من جهة أخرى، تدعو-هذه الجبهة- لـ "قائم من آل مروان" دون تصريح باسمه خشية عليه، وبدأوا بالترويج له فـ" أطبق الناس على بغض عبد الرحمن {بن المنصور} وآله، وأسروا لهم الغائلة، وسقطوا من أعينهم، وسعوا على دولتهم"[٤٣]، فشاع ذكره بين الناس، حتى وصلت أنباء "القائم المرواني"، إلى مسامع ولي العهد عبد الرحمن بن المنصور إبان استعداده لغزو جليقية، فنصحه مستشاروه بعدم الخروج والتريث للنظر في ما يشاع في قرطبة عن هذا القائم المرواني، لكنه رفض واستخف ببني أمية، وقال: "وا لو اجتمع بنو مروان إلى مرقدي وأنا نائم، ما أيقظوني"[٤٤]، ومشى في طريقه مغادراً قرطبة في مطلع جمادى الأولى سنة ٣٩٩هـ/ كانون الثاني١٠٠٩م[٤٥].

وأتت بني أمية الفرصةُ بخروجه منها، فبادروا وأعلنوا اسم قائمهم وأشاعوا ذكره، فالتفّ الناس حوله[٤٦]، وانطلقت شرارة الثورة قبيل انتصاف الشهر[٤٧]، وتداعت "العامة إلى {محمد بن هشام} بن عبد الجبار، كالسيول من السفلة والغوغاء، فقويت بها نفسه، وجعل يحركهم ويخاطبهم بوجه قيامه واحتسابه، وبادر بكسر سجن العامرية، وفيه: اللصوص، والذعار، وأرباب الجرائم، وتلاحق به بنو عمه المروانيون يستدعون الناس" حتى تمكنوا من قتل صاحب المدينة نائب ولي العهد عليها[٤٨]، ووصلوا إلى قصر الخليفة هشام المؤيد، الذي أشرف عليهم من سطح قصره محاولاً

---

٤٠. النويري، **نهاية**،٤١١/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥٢/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩.
٤١. ابن عذاري، **البيان**، ٦١/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩.
٤٢. ابن عذاري، **البيان**، ٥٣/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩.
٤٣. ابن عذاري، **البيان**، ٥٣/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩.
٤٤. ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٦؛عنان، **دولة الإسلام**،ع١، ق٢ :٦٢٩.
٤٥. النويري، **نهاية**، ٤١٠/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ٤٩/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٩٧.
٤٦. ابن عذاري، **البيان**، ٥٥/٣.
٤٧. الحميدي، **جذوة**، ١٧؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥٥/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩.
٤٨. ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩-١١٠؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥٥/٣-٥٦.

تهدئتهم، لكنهم لم يستمعوا إليه، بل وأسمعوه عبارات الزهد فيه، والاستغناء عنه، من مثل قولهم: "لا حاجة لنا بك، وليس الملك من شأنك، وهذا {محمد بن هشام} أولى به منك"(٤٩).

أدرك الخليفة هشام المؤيد خطورة الموقف، وعلم حقيقة مكانته لدى الناس، فبدأ يفاوض ابن عبد الجبار بصفته قائد الثورة، والمبايع له من قبل بني أمية، فعرض عليه إشراكه في أمره، وتعيينه ولياً لعهده عوضاً عن عبد الرحمن بن المنصور، وأن يتعاونا معاً من أجل الخلاص من بني عامر، لكن ابن عبد الجبار رفض كل تلك المقترحات(٥٠).

لم يتبق أمام الخليفة هشام المؤيد مع ما آلت إليه الأمور إلا العزل أو الاعتزال، ومع أن معظم المصادر ذكرت أن ابن عبد الجبار قد طلب إلى هشام المؤيد أن يعزل نفسه، ويتنازل له عن منصب الخلافة، كونه ليس لها بأهل(٥١)، إلا أن بعضها الآخر يرى أن الخليفة هشاما بادر من تلقاء نفسه إلى التنازل عن الخلافة(٥٢)، وذلك عشية الأربعاء: ١٣ جمادى الأولى ٣٩٩هـ/ كانون الثاني ١٠٠٩م(٥٣).

حضر الفقهاء مجالس الخلع، وسمعوا من الخليفة هشام المؤيد إقراره بذلك، فكُتب كتاب الخلع وشهد عليه الشهود(٥٤)، ثم تمت مبايعة محمد بن هشام بن عبد الجبار بالخلافة، وتلقب بالمهدي، وبايعته المشيخة، وأهل البيت من قريش والأعمام، والوزراء، وطبقات الخدام، والقضاة والفقهاء، فتمت له البيعة يوم الخميس: ١٤ جمادى الأولى، ودعي له على "سائر منابر الأندلس"(٥٥)، وتهافت الناس على بيعته(٥٦)، تبدو عليهم علامات الفرح والسرور، بل إنهم أفرطوا في اتخاذ الولائم والأعراس ابتهاجاً وسروراً(٥٧) بالخليفة الجديد من ناحية، وخلاصاً من العهد القديم من ناحية أخرى.

أما عبد الرحمن بن المنصور، فقد وصلته أخبار الانقلاب في قرطبة، وهو بالقرب من قلعة رباح، وأدرك- متأخراً- أن سبب الانقلاب عليه في قرطبة، ما هو إلا اغتصابه لمنصب "ولاية العهد" من أهله الشرعيين، فأقدم حينها-تداركاً منه لأمره- على خلع نفسه منه، واقتصر على

٤٩. ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٠؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥٦/٣-٥٧.
٥٠. ابن عذاري، **البيان**، ٥٧/٣، ٥٩ ؛عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٣٣.
٥١. ابن حزم، **رسائل**، ٨٣/٢؛ الحميدي، **جذوة**، ١٧؛ الضبي، أحمد بن يحيى (ت: ٥٩٩هـ/١٢٠٣م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٨٩م، ٤٠/١؛ المراكشي، عبد الواحد (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٨م، ٣٠؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥٩/٣-٦٠؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١١.
٥٢. النويري، **نهاية**، ٤١٣/٢٣.
٥٣. المصادر في الحاشية قبل السابقة.
٥٤. ابن عذاري، **البيان**، ٦٠/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٠٩-١١٠.
٥٥. ابن الأبار، محمد بن عبد ا (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، دار المعارف – القاهرة، ١٩٨٥م: ٦/٢.
٥٦. ابن عذاري، **البيان**، ٦١/٣-٦٢.
٥٧. المصدر السابق، ٧٤/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٢.

منصب الحاجب لعل أمره يتماسك، وبدأ بمخاطبة أهل الثغر، يدعوهم إلى نصرة "الخليفة المظلوم" هشام المؤيد، ولكن "لم يصغ أحد من الناس إلى كتابه"[٥٨]، بل تخلّى عنه جنده وانطلقوا عائدين إلى قرطبة[٥٩]، وبقي وحيداً حائراً في الثغر، حتى قتل يوم السبت: ٤ رجب ٣٩٩هـ/ آذار١٠٠٩م[٦٠]، فذهبت بذهابه دولة العامريين[٦١]، وعادت بمحمد بن هشام بن عبد الجبار المهدي دولة الأمويين.

٣. خسارة الوحدة بعد استعادة الخلافة:

لم يكن الخليفة المهدي على مستوى التغيير الذي حصل، ولم يكن "الرجل الذي يستطيع أن يوجد التوازن المنشود في مثل الحالة الفوضوية التي آلت إليها أمور الدولة"[٦٢] بل لم يحالف الحظ بني أمية في اختياره، ودلت سياساته التالية على ذلك؛ إذ بدأها بالإساءة إلى الخليفة المعزول هشام المؤيد، وسجنه في قصره، ثم حجر عليه في دار الوزير الحسن بن حي، أحد أنصار ابنه محمد[٦٣]، ثم أظهر رجلاً ذمياً ميتاً شبيهاً بهشام المؤيد وأعلن به وفاة الخليفة هشام "وأدخل الوزراء والخدمة عليه، فعاينوه ميتاً، ولم يشكّوا في أنه ليس المؤيد" ودفن يوم الاثنين في ٢٧ شعبان ٣٩٩هـ/ آذار ١٠٠٩م[٦٤]، فبدا التغير تجاه المهدي من قِبل الناس، وقد حضر الفقيه ابن حزم الحادثة وعبر عن ذلك بقوله: "فرأيت أنا وغيري نعشاً، فيه شخص مكفّن، ثم صلّينا في ألوف من الناس عليه، ثم لم يلبث إلا شهوراً نحو السبعة حتى ظهر حياً"[٦٥]، وكانت تلك ميتته الأولى من بين ميتاته الثلاث[٦٦]، وقطف المهدي نتائج سياسته، فانصرفت "عنه نفوس الموالي والخواص، واضطربت عليه بنو أمية"[٦٧]، فأقدم على سجن كثير منهم للخلاص من تذمرهم[٦٨]. وعد ابن الكردبوس ميتة هشام المؤيد الأولى في عهد الخليفة المهدي، البداية الحقيقية لما سمي

---

٥٨. ابن عذاري، **البيان**، ٦٩/٣ ؛عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢، ٦٣٣؛ سالم، **تاريخ المسلمين**،٣٤٥.
٥٩. ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٦/١.
٦٠. الحميدي،**جذوة**، ١٥؛ الضبي، **بغية**، ٤٠/١؛ المراكشي، **المعجب**،٣٠؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٦/١.
٦١. ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٤/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٦/١.
٦٢. التواتي،**مأساة انهيار**، ٢٠٧.
٦٣. ابن بشكوال، خلف بن عبد الملك (ت: ٥٧٨هـ/١١٨٣م)، **الصلة**، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط١، ١٩٨٩م، ٢٢٩/١؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٦/٢.
٦٤. ابن عذاري، **البيان**، ٧٧/٣؛ انظر، النويري، **نهاية**، ٤١٨/٢٣؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٤/١/١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٧٩/٨؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٢.
٦٥. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق، محمد نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ١٩٨٥م: ٥٩/١.
٦٦. ابن عذاري، **البيان**، ٧٧/٣.وكانت الثانية في عهد المستعين ٤٠٣هـ،والثالثة في عهد المعتضد با العبادي ٤٥٦هـ.
٦٧. ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٠/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥١/٣.
٦٨. ابن عذاري، **البيان**، ٧٨/٣.

بفترة "ملوك الطوائف"[٦٩].

أتبع المهدي إغضاب بني أمية، بإغضاب البربر، فمارس عليهم سياسات ظالمة، وأصدر نحوهم مجموعة قرارات جائرة، فأمر ألا يركبوا وألا يتسلّحوا، غير مميز في ذلك بينهم، وأباح أموالهم ودورهم للعامة، وسمح بقتلهم، وصرح في مجالسه ببغضه الشديد لهم، وأسقطهم من ديوان الجيش، "فكان هذا من فعل السفيه ابن عبد الجبار ورأيه، سبب الفساد والفتنة العظيمة الطويلة التي يسميها أهل الأندلس بالفتنة البربرية، ولو سموها بفتنة ابن عبد الجبار لكان الأحق والأولى"[٧٠].

لم يتبق مع المهدي، بعد أن أغضب بني أمية والبربر، إلا فئة قليلة من الناس، التحقوا بركب من نقم عليه، بعدما أظهر من المناكير أكثر مما أنكره على من ثار عليهم {بني عامر}، "فلم تزل مناكيره تزيد، حتى هانت أجرام آل عامر عند الناس، وأقروا بظلمهم لهم"[٧١]، فتجمعت "أسباب القيام عليه، وإشعال الفتنة لديه"[٧٢]، وأصبح "أشأم خليفة على وجه الدنيا"[٧٣]، ولم يكن يدور في خلدهم وهم مسرورون إبان اختياره "بما خبأ القدر لهم في ذلك من المكروه، الذي أباد خضراءهم، وفرق جموعهم، وأجاع بطونهم، وسلب أموالهم، وهدم دورهم، وألبسهم لباس الجوع والخوف"[٧٤].

ألف الساخطون على المهدي- وخاصةً البربر- جبهة عمل سرية تسعى إلى خلعه واستبداله بأحد أبناء بني أمية، ووقع اختيارهم على هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر[٧٥]، وسموه المعصوم[٧٦]، وأعدوا للثورة، إلا أن المهدي كشف خيوط ما دبروا له، وأوقع فيهم القتل مبتدئاً بمرشحهم، مما اضطرهم للهرب نحو الثغر في الشمال[٧٧]، وعد ابن حزم مقتل المعصوم انطلاق ما عرف بفترة "ملوك الطوائف"[٧٨].

نقم المهدي على البربر الذي لم ير سواهم سبباً لتلك الثورة، فاشتعلت في قرطبة فتنة قوامها

٦٩. ابن الكردبوس، **الاكتفاء**، ٦٧.

٧٠. ابن عذاري، **البيان**، ٧٦/٣؛ وانظر، ٥١، ٧٥؛ ٨٣؛ ٨٩؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٠/٨؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٥/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٧/١؛مكي، **تاريخ الأندلس**، ٩٧/١ ؛محمد حقي، **البربر في الأندلس**، شركة النشر والتوزيع-الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١م:٢١٧-٢١٨.

٧١. ابن عذاري، **البيان**، ٦٣/٣.

٧٢. المصدر السابق، ٨٠/٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٠/٨.

٧٣. ابن عذاري، **البيان**، ٧٤/٣.

٧٤. ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٢.

٧٥. ابن حزم، **رسائل**، ٥٣/٢، ٥٨؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٠؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٠/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٧٩/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٥/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٧/١.

٧٦. ابن حزم، **رسائل**، ٨٣/٢، ٥٨؛ بينما في ابن عذاري، ٧٩/٣، فاسمه الرشيد.

٧٧. ابن حزم، **رسائل**، ٥٣/٢؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٠؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٠/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٧٩/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٥/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٧/١.

٧٨. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، **الجمهرة**، تحقيق، عبد السلام هارون، دار المعارف – القاهرة، ١٩٦٢م: ١٠٢.

حزب المهدي من ناحية، والبربر من ناحية أخرى، مارس فيها المهدي عليهم أبشع أنواع القتل والتشريد، وأمر أن ينادى في الناس: "من أتى برأس بربري فله كذا"، تشجيعاً لحزبه على إبادتهم، فتسارع الناس إلى قتلهم وأسرهم، وحرق منازلهم، وبالغ أهل قرطبة في ذلك كثيراً [٧٩]، فهربت جموع البربر من قرطبة ناقمةً على أهلها وخليفتها إلى وادي الحجارة من الثغر، وخلعوا طاعة الخليفة المهدي، والتفوا حول أموي آخر هو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وبايعوه بالخلافة في ٢٨ شوال ٣٩٩هـ/ حزيران ١٠٠٩م، ولقبوه بالمستعين[٨٠].

انصدعت الخلافة الأموية في الأندلس، وانقسمت وللمرة الأولى منذ نشأتها على يد الأمير عبد الرحمن الداخل خلافتين، الأمر الذي أدى إلى تصدع المجتمع الأندلسي وانقسامه كتلتين كبيرتين تتبادلان العداء والبغضاء، تضم الأولى البربر، بزعامة الخليفة سليمان المستعين، فيما تضم الأخرى أهل الأندلس، بزعامة الخليفة محمد المهدي.

لم تصل الأمور بعد بين الجماعتين حد الانقسام التام، بل كان من الممكن رأب الصدع وعودة الائتلاف، وقد بدأت محاولة الائتلاف من جديد من قبل البربر جماعة المستعين، حينما خاطبوا والي مدينة سالم – المؤازر للمهدي – واضح العامري، وأعلموه بضرورة الاتصال بالخليفة المهدي لعقد الصلح والهدنة بين الطرفين "على أن يكون سليمان المستعين ولياً للعهد"، فرفض واضح العامري تلك العروض من تلقاء نفسه، وهون للخليفة المهدي أمرهم، وأعمل الحيلة في القبض على المستعين، لكنه فشل[٨١]، وتكرس بفشله الانفصال التام بين الطرفين، حينما حسب البربر أن ما قام به واضح العامري قد جاء بأمر من الخليفة المهدي، مما دفعهم إلى الاتصال بممالك المسيحيين في الشمال للحصول على المساعدات العسكرية- مقابل التنازل لهم عن جملة من حصون الثغر- من أجل مقاتلة الخليفة المهدي وأهل قرطبة، الذين رفضوا محاولات الصلح، فتم تقديم الدعم لهم من الممالك المسيحية[٨٢]، وانطلقوا بقواتهم، وبما حصلوه من مساعدات باتجاه قرطبة في أوائل محرم سنة ٤٠٠هـ/ آب ١٠٠٩م، الذي كان خليفتها قد بدأ بحفر الخنادق استدفاعاً للخطر القادم من الشمال[٨٣]، وما أن وصلوا إلى مشارفها حتى خرج لهم، فَهزم أمامهم في معركة قنتيش[٨٤] في ١١ ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ/ تشرين الأول١٠٠٩م[٨٥]. التي عدها

٧٩. ابن عذاري، **البيان**، ٨١/٣، ٨٤-٨٥؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٥/٤.
٨٠. ابن عذاري، **البيان**، ٨٤/٣-٨٥؛ المراكشي، **المعجب**، ٣١؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٦/٢-٧؛ ابن الخطيب، **أعمال**: ١١٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٥/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٨/١.
٨١. ابن عذاري، **البيان**، ٨٥/٣، عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢: ٦٤٦.
٨٢. المصدر السابق، ٨٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ المقري، **نفح**، ٤٢٨/١، سالم،**تاريخ المسلمين**، ٣٤٩.
٨٣. ابن عذاري، **البيان**، ٨٦/٣-٨٧.
٨٤. قنتيش، منطقة إلى الشرق من قرطبة بالقرب من نهر الوادي الكبير. انظر: بني ياسين، يوسف، **بلدان الأندلس في أعمال ياقوت الحموي الجغرافية**، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤م: ٤٤٤.
٨٥. المراكشي، **المعجب**، ٣١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨١/٨؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٦/٢-٧؛ ابن عذاري، **البيان**، ٨٩/٣.

حسين مؤنس البداية الحقيقية لفترة "ملوك الطوائف".(٨٦)

عاد المهدي إلى قرطبة وفلول جيشه تتبعه، متفكّراً في خطورة الموقف، فقرر إحياء الخليفة الميت هشام المؤيد؛ لأنه شعر بتغير الناس عليه، وتقصيرهم في الدفاع عنه(٨٧)، وأحس بحبهم الشديد للخليفة هشام– آخر رموز الوحدة – "فأخرجه للناس رجاء أن يستمسك الحال به"(٨٨)، وخلع نفسه من منصب الخلافة،-على غرار ما فعل عبد الرحمن بن أبي عامر وقت قيام المهدي عليه- وأعلن أنه "قائم دون هشام، ونائب عنه، كالخليفة والحاجب"، وأرسل إلى محاصريه من البربر، يعلمهم بما تم من تطورات في قرطبة، والأمل يحدوه أن يقدموا على خلع طاعة الخليفة المستعين، ويقبلوا على الخليفة هشام المؤيد كونهم كانوا يكثرون من الترحم عليه والطلب بدمه، ولكن لم يجد منهم إلا الاستهزاء والسخرية، على قيام خليفة ميت، وأصروا على خليفتهم المستعين وتمسكوا به(٨٩)، وانتهى الأمر بعد حصار يسير، بأن دخل المستعين والبربر قرطبة في ١٧ ربيع الأول ٤٠٠هـ/ تشرين الأول ١٠٠٩م(٩٠)، فبايعه أهلها بالخلافة وفي مقدمتهم الخليفة المعاد هشام المؤيد(٩١)، الذي تم التحفظ عليه في القصر(٩٢).

فر المهدي إلى مدينة سالم، حيث الفتى واضح الباقي على دعوته، ثم استعان بالنصارى مقابل تنازلات عديدة لهم عن حصون الثغر(٩٣)، وعاد بهم إلى قرطبة، وتمكن من هزيمة المستعين في ١٤ شوال ٤٠٠هـ/ حزيران ١٠١٠م، بعقبة البقر(٩٤)، ودخول قرطبة واستباحتها(٩٥)، وجدد البيعة لنفسه في قرطبة، مبتدئاً بأخذها من هشام المؤيد(٩٦).

هرب المستعين نحو الجزيرة الخضراء، وتبعه المهدي من أجل الخلاص منه ومن حزبه البربري، والتقى الطرفان في معركة وادي آره(٩٧) في ٦ ذي القعدة ٤٠٠هـ/أيار١٠٠٩م، أسفرت عن هزيمة المهدي وقواته، فعاد هارباً نحو قرطبة، وتبعه المستعين وقواته من البربر إليها،

---

٨٦. ابن الأبار، **الحلة**، ٦/٢.(حاشية رقم:٢)
٨٧. ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨١/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٨٩/٣؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٣/٢٣؛ المقري، **نفح**، ٤٢٩/١.
٨٨. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٤/١/١-٤٥؛ ابن عذاري، **البيان**، ٨٢/٣؛ النويري، **نهاية**، ٤٢١/٢٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ المقري، **نفح**، ٤٢٩/١؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١، ق٢ :٦٤٧؛سالم،**تاريخ المسلمين**، ٣٥١.
٨٩. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ٨٩/٣؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٢/٢٣؛ المقري، **نفح**، ٤٢٩/١.
٩٠. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٩/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ٩١/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٨/١.
٩١. ابن عذاري، **البيان**، ٩١/٣، ٩٥؛ ابن الخطيب، **أعمال**: ١١٩.
٩٢. ابن عذاري، **البيان**، ٩٠/٣؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٢/٢٣.
٩٣. ابن عذاري، **البيان**، ٩٤/٣؛ عنان،**دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٤٨؛سالم،**تاريخ المسلمين**،٣٥٢-٣٥٣.
٩٤. عقبة البقر، منطقة إلى الشمال من قرطبة بحوالي عشرين كيلوا مترا. أنظر، المقري، **نفح**، ٤٢٨/١(حاشية:٢)
٩٥. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٦/١/١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨١/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٩٤/٣-٩٥؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٤-١١٥؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٤/٢٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٦/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٩/١.
٩٦. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥/٤؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨١/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ٩٥/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٥؛ المقري، **نفح**، ٤٢٨/١.
٩٧. وادي آره، منطقة جنوب العاصمة قرطبة باتجاه الجزيرة الخضراء. انظر، بني ياسين، **بلدان الأندلس**، ١٨٥.

وفرضوا عليه وعلى أهلها الحصار [٩٨].

أصاب أهالي قرطبة السأم من صراع الخليفتين الأمويين المهدي والمستعين، ورأوا أن وجه الخلاص من أزمتهم يتمثل في إعادة الأمر إلى الخليفة هشام المؤيد، فدبروا للإطاحة بالمهدي مؤامرة بزعامة واضح العامري، أسفرت عن اغتياله، وأعادت الخلافة إلى الخليفة هشام[٩٩]، وذلك في ٨ ذي الحجة ٤٠٠هـ[١٠٠]، وعد ابن حزم الخليفة المهدي آخر خلفاء بني أمية الذين ولوا "ولاية تامة" على سائر الأندلس[١٠١].

أصبح هشام المؤيد خليفة قرطبة من جديد، وتسلّم حجابته الفتى واضح[١٠٢]، وحكموا دولة تدور حدودها مع دوران سور قرطبة، يحاصرهم فيها المستعين، الذي يقف والبربر حجر عثرة في سبيل الوحدة الأندلسية التي تنشدها قرطبة، فأقدموا على إرسال رأس المهدي إليهم، لعل ذلك يفسخ جبهة البربر باعتباره-المهدي- "سبب الشقاق والنفاق"[١٠٣]، وأرفقوا معه رسالة من هشام المؤيد، تدعوهم للعودة إلى الطاعة[١٠٤]، وأمل أهالي قرطبة أن يرسل البربر إليهم رأس المستعين كما أرسلوا إليهم رأس المهدي[١٠٥]، ولكن البربر تمسكوا بخليفتهم[١٠٦]، فازداد بذلك الانقسام في المجتمع الأندلسي.

شدد الخليفة المستعين وقواته في حصار الخليفة هشام المؤيد وأهل الأندلس في قرطبة، حتى غدا من بها غير قادر على مغادرة أسوارها[١٠٧]، فاضطربت أحوالهم، ولجأوا إلى طلب مساعدة النصارى، مقابل "تسليم أزيد من مئتي حصن مما فتح الملوك المجاهدون"، لكن المستعين لم يمهل تلك المساعدات بل عمق الحصار، واستولى على مدينة الزهراء في ربيع الأول سنة ٤٠١هـ/ تشرين الأول١٠١٠م [١٠٨]، مع جنده البربر الذين كانوا "ينهبون، ويخربون، ويحرقون،

---

٩٨. ابن عذاري، **البيان**، ٩٦/٣-٩٧؛ ابن الخطيب، **أعمال**: ١١٥-١١٦؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٥/٢٣؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٤٩.

٩٩. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥/٤/١؛ ابن عذاري، **البيان**: ٩٧/٣؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٢/٨؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٧/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٨/١؛ سالم، **تاريخ المسلمين**،٣٥٤.

١٠٠. ابن عذاري،**البيان**،١٠٠/٣-١٠١؛ابن الخطيب،**أعمال**:١١٦؛ النويري، **نهاية**: ٤٢٥/٢٣؛ المقري، **نفح**، ٤٢٨/١.

١٠١. ابن حزم، **الجمهرة**، ١٠١.

١٠٢. الحميدي، **جذوة**، ١٧؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٠؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥/١/١-٤٦؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٦٨٢/٨؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٠٠/٣-١٠١؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٥/٢٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٦؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٧/٤.

١٠٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٢٧/١/٢؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٥/٢، ٣٠؛ ابن عذاري، **البيان**، ٥٠/٣.

١٠٤. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٠١/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٦-١١٧.

١٠٥. النويري، **نهاية**، ٤٢٦/٢٣.

١٠٦. ابن بسام، **الذخيرة**، ٧٨/١/١؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٧.

١٠٧. ابن عذاري، **البيان**، ١٠١/٣.

١٠٨. ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٧؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٥١.

ويقتلون"[١٠٩] كل ما يقع في طريقهم، ودافعهم في أفعالهم تلك الانتقام من أهالي قرطبة"؛ لِما فعلوه معهم من القبائح"[١١٠] سابقاً.

عمق ذلك كره أهالي قرطبة للبربر، وتعصبهم عليهم، وعلى كل من يأتي من بعض أهلها، على ذكر المصالحة معهم، بل عوقب كل من اجترأ على ذكر الصلح بالقتل[١١١]، وكان في مقدمة من وقع عليه عقوبة القتل الحاجب واضح العامري الذي فكّر بمراسلة البربر، وأظهر أن ذلك "عن رأي هشام لما فيه من الصلاح للخاصة والعامة "فعوقب بالقتل" [١١٢]، ثم تولّى أمر المدينة بعده ذو الوزارتين ابن مناو[١١٣].

ازداد وضع أهل قرطبة سوءاً جراء الحصار المفروض عليهم، حتى "أكل الناس، الدم من مذابح البقر والغنم، وأكلوا الميتة"، وبدأ يظهر فيها صوت مصالحة البربر [١١٤]،بإيعاز من ذي الوزارتين ابن مناو، الذي سرعان ما تراجع عن ذلك - خشيةً على نفسه من ملاقاة مصير سلفه واضح- أمام صوت الأغلبية التي ترى أن حرب البربر "أسلم من الصلح" [١١٥]، فاقترح عقد اجتماع عام بزعامة الخليفة هشام المؤيد، من أجل النظر في حالة قرطبة وإمكانات الخروج من هذا المأزق، وكان ذلك في مطلع ذي الحجة سنة ٤٠٢هـ/ حزيران ١٠١٢م، وحضره الأعيان والفقهاء ووجوه الجند، وجاء رد الخليفة هشام المؤيد مخيباً للآمال؛ إذ لم يصدر عنه سوى البكاء، وقال: "اصنعوا ما أردتم، ودعوني بمعزل، فلست أقدر لكم، ولا لنفسي على شيء، فانظروا ما فيه صلاحكم فافعلوه، وأنا تبع لكم"، ولم يكن الصلاح إلا بالصلح مع المستعين والبربر، ولم يقدر ابن مناو على الجهر به، فهرب عن قرطبة وتركها "يدبر أمرها العبيد، وسفال الناس"[١١٦].

لم يبق أمام أهل قرطبة إلا الاتصال بالبربر، فكتبوا إليهم يرغبونهم في قطع الفتنة، والتراضي بالخليفة هشام لكلا الطرفين، وتسليم المستعين منصب ولاية عهده على أن يكون "مدبر أمره، والقائم بأعباء الخلافة" – أي منصب الخليفة الفعلي والإبقاء الشكلي على الخليفة هشام – لكن المحاولة باءت بالفشل، وجاءت الردود على لسان المستعين ترفض ذلك الاقتراح وتقول: "أنا هو أمير المؤمنين، وأما هشام فلا يستحق ذلك"[١١٧]، وأدرك "الفتيان العامريون، والبقايا الشاميون" أن البربر داخلون قرطبة لا محالة، فعمدوا إلى الخليفة هشام لمحاولة إخراجه من قرطبة، وتهريبه

---

١٠٩. ابن عذاري، **البيان**، ١٠٢/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٣؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٧/٢.
١١٠. ابن عذاري، **البيان**، ١٠١/٣.
١١١. المصدر السابق، ١٠٣/٣.
١١٢. المصدر السابق، ١٠٤/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٧؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٨/٢٣.
١١٣. ابن عذاري، **البيان**، ١٠٥/٣، ١٠٧؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١،ق٢ :٦٥١، وابن مناو شخصية غير معروفة، لم نستطع التعرف إلى أكثر مما ذكر عنه.
١١٤. ابن عذاري، **البيان**، ١٠٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٨.
١١٥. ابن عذاري، **البيان**، ١٠٨/٣.
١١٦. المصدر السابق، ١٠٨/٣-١٠٩.
١١٧. المصدر السابق، ١٠٩/٣.

إلى شرقها حيث يكثر مؤيدوه ومناصروه، إلا أنه رفض وفضل البقاء فيها[118].

حقق البربر ما بين ذي الحجة سنة ٤٠٢هـ وحتى شوال سنة ٤٠٣هـ انتصارات عدة على أهل قرطبة[119]، توجت بدخولهم إليها في ٢٧ شوال ٤٠٣هـ/ أيار ١٠١٣م [120]، فعاملو أهلها معاملةً سيئةً، وأغرموهم أموالاً طائلةً فاقت قدراتهم[121]، مما زاد من حدة الانقسام بين الطرفين.

أحضر الخليفة المستعين الخليفة هشاما المؤيد، ووبخه على نقض بيعته له، فاعتذر هشام من المستعين، ثم "سلّم الأمر إليه، وخلع له نفسه"[122]، وبايع أهل قرطبة الخليفة المستعين وهم كارهون له[123]، وأرسل على إثر ذلك كتباً إلى المدن الأندلسية تحمل أخبار الفتح الذي أحرزه على قرطبة وأهلها؛ لإشهار خبر خلافته في عموم الأندلس، ونفر الناس منه لما كانت كتبه "موشحة بما توشح به كتب الفتوح الإسلامية على أهل دار الحرب، من وصف حال القهر وشدة السطو"[124]، التي مارسها البربر مع أهل قرطبة، التي لم يجرؤ المستعين على تغييرها، أو التخفيف منها، بل لم يستطع حتى الإنكار[125]؛ كون البربر هم حكام قرطبة الفعليون، ولم يكن للمستعين أي حكم حقيقي فيها،[126]، مما دفع ابن عذاري إلى تسمية خلافة المستعين بـ "أول دولة البرابرة في قرطبة"[127].

إن إقدام الخليفة المستعين على توزيع مناطق الأندلس وكورها على طوائف البربر زاد في تقسم البلاد وتفرقها إلى أحزاب وكتل متنافرة، "فافترق شمل الجماعة في الأندلس"[128]، وخشي بقايا الفتيان العامريين والصقالبة في قرطبة من المستعين ففروا إلى شرق الأندلس، مع جملة عديدة من أهلها، باقين على ولائهم للخليفة هشام المؤيد، ولم تفلح محاولات المستعين ردهم إلى صف طاعته "رجاء كرة الدولة بهم"[129]، بل انقادوا لكل من عانده ورفض خلافته "فكان ذلك سبباً

١١٨. ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٩-١٢٠.

١١٩. ابن عذاري، **البيان**، ١١١/٣-١١٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٧؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٩/٢٣.

١٢٠. ابن عذاري، **البيان**، ١١٢/٣-١١٣؛ انظر، الحميدي، **جذوة**، ٢١٧؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**: ١١٨؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٧/٤.

١٢١. ابن عذاري، **البيان**، ١١٢/٣.

١٢٢. المصدر السابق، ١١٣/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٩؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٩/٢٣.

١٢٣. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٤٢/٩.

١٢٤. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٧/١/١.

١٢٥. ابن حزم، **الجمهرة**، ١٠٢.

١٢٦. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٤٢/٩؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٩.

١٢٧. ابن عذاري، **البيان**، ١١٤/٣.

١٢٨. انظر تفاصيل التقسيم الذي أجراه المستعين، في، المصدر السابق، ١١٣/٣-١١٤؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٧/١/١؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٩؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٧/٤-٣٢٨؛ المقري، **نفح**، ٤٢٩/١؛ عنان، **دولة الإسلام**،ع١، ق٢ :٦٥٤؛سالم، **تاريخ المسلمين**، ٣٥٦؛مكي، **تاريخ الأندلس**، ٩٨/١.

١٢٩. ابن بسام، **الذخيرة**، ٢١/١/٣-٢٢، ١٠٩/١/١-١١٨.

في تفريق البلاد وتملك أصحاب الطوائف"[١٣٠].

أما الخليفة هشام المؤيد، فاختلفت الروايات في مصيره مع المستعين، وقد صور لنا المؤرخ ابن حيان ذلك الاختلاف والحيرة، التي أصابت الناس والمؤرخين منذ ذلك الوقت فقال: "وقيل: إنه قضى عليه، وقيل إنه فر من بين يديه"[١٣١]، ولكل من الرأيين مؤيدوه، لكن تتجه أغلب الروايات إلى الأخذ بالرأي الموافق لمقتل الخليفة هشام المؤيد أيام الخليفة سليمان المستعين[١٣٢]، دون أن تحمله مباشرةً تبعة ذلك، ويظهر أن ذلك جرى دون إذن منه، على يد ولده وولي عهده محمد بن المستعين الذي غيب شخص الخليفة هشام "فكان آخر العهد به، وشاع يومئذ أن محمداً أعجل قتله دون إذن والده سليمان، فاغتاله خنقاً، منفرداً بذلك مع بطانته، لخمس خلون من ذي القعدة سنة ٤٠٣هـ"[١٣٣]/ أيار ١٠١٣م.

أخفى قاتلو هشام خبر موته عن الناس، ولم يعلنوه لهم[١٣٤]، وكتموا ذلك حتى عن خاصة القصر، فلم يعلم بوفاته والد الخليفة سليمان المستعين الشيخ الورع الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، وبقي على قناعةٍ تامةٍ بأنه على قيد الحياة، حتى إنه أقسم في مجلس خيران العامري وعلي بن حمود سنة ٤٠٧هـ/١٠١٧م أن الخليفة هشاما ما قتل وأنه ما زال حياً يرزق[١٣٥]، "وأشاعوا أنه فر لوجهه مأذوناً له"[١٣٦]، فتلقى موالي هشام المؤيد خبر نفي موته، وإشاعات فراره، التي روجها الخليفة المستعين وحاشيته بقبول كبير، بل وبدأت "تروى في ذلك روايات تبعد عن الحقيقة، وتصدر عن نسوان وخصيان من أهل القصر، إلى أن علق ذلك بمن فوقهم من شيع المروانية، ثم زعموا أنه عبر إلى المشرق، وقضى المناسك، ثم كر راجعاً"[١٣٧] إلى الأندلس، فأقام إما في نواحي إشبيلية، أو مالقة، أو المرية[١٣٨]، إلى أن عثر ابن عباد على شبيه له، واستغل عدم اقتناع الناس بأمر وفاته، فنصبه خليفة في إشبيلية.

٤. محاولات الأمويين استعادة الخلافة:

كرست الأحداث المتوالية في عهد المهدي والمستعين انقسام المجتمع الأندلسي إلى فئات متعادية، تمثلت في أهل الأندلس، والبربر، والفتيان الصقالبة، وبدأت كل فئةٍ منهم تسعى إلى

---

١٣٠. المصدر السابق، ٣٧/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٤/٣؛ مكي،تاريخ الأندلس، ٩٨/١ ويرى مكي أن" هذا التوزيع بداية لاستقلال حكام ولايات الخلافة بولاياتهم، وبداية **عصر الطوائف** ".

١٣١. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٧/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٣/٣، رواية ابن حيان.

١٣٢. انظر: الحميدي، **جذوة**، ١٧؛ الضبي، **بغية**، ٤٣/١؛ ابن الكردبوس، **الاكتفاء**، ٦٨؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٨٦/٩؛ النويري، **نهاية**، ٤٢١/٢٣؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٧/٢؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٧/٤؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٧/٣.

١٣٣. ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٠.

١٣٤. ابن بسام، **الذخيرة**، ١٧/١/٢ رواية ابن حيان.

١٣٥. المصدر السابق، ٤٢/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٧/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١.

١٣٦. ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٠.

١٣٧. ابن بسام، **الذخيرة**، ١٧/١/٢ رواية ابن حيان.

١٣٨. ابن الأثير، **الكامل**، ٣١٨/٩؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٥٤/٣، ١٩٠؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٠.

استعادة السلطة على حساب الآخرين، بتحالفات سياسية غير ثابتة؛ إذ اتحد البربر والفتيان الصقالبة مع بعضهما مرة ضد أهل الأندلس، ثم اتحد أهل الأندلس والفتيان الصقالبة مع بعضهما ضد البربر مرة ثانية، متخذين في كل مرة من أحد أفراد بني أمية واجهةً ومستنداً شرعياً يلتفون حوله ويسعون إلى تحقيق مآربهم من خلاله.

٤-أ. بنو حمود والخلافة:

جمعت أولى المحاولات الهادفة إلى استعادة الخلافة الأموية وتنصيب الخليفة هشام المؤيد، بين الأسرة الحمودية العلوية الإدريسية بزعامة علي بن حمود، والفتيان الصقالبة بزعامة خيران العامري، المستيقن بأن الخليفة هشاما ما يزال على قيد الحياة، أسيراً في قرطبة لدى الخليفة المستعين، فائتلاف الحزبان مع بعضهما بعضا باختلاف في الغايات؛ إذ تتمثل غاية بني حمود في الاستيلاء على الخلافة، بينما تتمثل غاية الفتيان الصقالبة في إعادة الخلافة إلى أصحابها الشرعيين بزعامة هشام المؤيد، ولذا ستنفصم عرى هذا الائتلاف بمجرد إحراز النصر على عدوهما المشترك الخليفة سليمان المستعين.

يمثل بنو حمود بقايا أسرة الأدارسة العلوية القرشية في المغرب العربي، الذين اختلطوا بالبربر حتى عدوا منهم[١٣٩]، وقد وقف زعيمهم علي بن حمود الإدريسي بوجه خلافة المهدي في سبتة، وآزر المستعين في توليه الأمر[١٤٠]، فكان علي وأخوه القاسم زعيمي فرقة العلوية التي قاتلت مع المستعين في شوال سنة ٤٠٣هـ أهالي قرطبة[١٤١]، ونالهم من التوزيع الذي أجراه المستعين لكور الأندلس على أنصاره، مناطق الجزيرة الخضراء، وسبتة، وطنجة[١٤٢]، واستغرب بعض وزراء المستعين هذا العمل لكون الأدارسة يشاركون المستعين في النسب القرشي[١٤٣]، المؤهل الشرعي لتولي الخلافة، وهو أمر خطير، ومدعاة للمشاركة في ما هو أكبر من الولاية، ويعنون الخلافة.

أثبتت الأحداث صدق حدس أولئك الوزراء، فما إن نزل علي بن حمود في سبتة والياً عليها من قبل الخليفة المستعين، حتى ظهرت لديه بوادر الطمع في الاستيلاء على الخلافة، فخلع طاعة المستعين في سنة ٤٠٤هـ/١٠١٤م[١٤٤]، وحرض أخاه القاسم بن حمود في الجزيرة الخضراء

---

١٣٩. ابن عذاري، **البيان**، ١١٥/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٣٠/٤؛ عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق٢ :٦٥٧.

١٤٠. ابن عذاري، **البيان**، ٩٦/٣.

١٤١. الحميدي، **جذوة**، ٣٠؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٧٨/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**: ١١٣/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٠.

١٤٢. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٧/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٣/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١١٩؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٢٧/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٢٩/١.

١٤٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٨/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٤/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٩.

١٤٤. الحميدي، **جذوة**، ٢٠؛ الضبي، **بغية**، ٤٦/١؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩.

على ذلك[١٤٥]، وبدأ يرنو ببصره نحو الأندلس.

وقف علي بن حمود في أثناء إقامته في الأندلس، على تفاصيل الخريطة السياسية ومراكز القوى فيها[١٤٦]، وأدرك أن مطامعه في منصب الخلافة لن تتحقق إلا بإحدى فئتين؛ إما البربر أو الفتيان الصقالبة، فاستخدم لكل منهما خطاباً مختلفاً يستثير عواطفهم تجاه دعوته، ويدعوهم إلى مؤازرته.

ركّز في خطابه إلى الفئة الأولى: البربر، على سابقة الأدارسة معهم، ومستند القرشية التي ينتمي إليها، تلك التي خشي منها وزراء المستعين، وهو يدرك عظيم ما في نفوس البربر من تشيع لهم، متوارث فيهم منذ أيام دولتهم (دولة الأدارسة في المغرب)[١٤٧]، ووضح اعتماده على خطاب القرشية في رسائله التي بعث بها إلى بربر الأندلس، فذكر في إحداها: "..وإن قلت إنك لم تعرف مكاننا من الخلافة، ووراثة الإمامة عن أسلافنا الماضين وأجدادنا الأقربين، وجهلت أننا في نصابها وذروتها، وأقعد الناس بها وأقواهم عليها، فقد كابرت العيان، ودافعت البرهان"، وفي أخرى: "وهل ينكر فضلنا إلا جاهل مكابر، أو يدافع حقنا إلا معاند خاسر"[١٤٨]، وقد أثمر ذلك الخطاب لدى كثير من بربر الأندلس، فحصل منهم على التأييد والمؤازرة[١٤٩]، لا سيما بنو زيري بزعامة زاوي بن زيري، وإخوته وبني عمه الصنهاجيين[١٥٠].

أما الفئة الثانية: الحزب الهشامي ممثلاً بالفتيان الصقالبة، غير المصدقة لوفاة الخليفة هشام المؤيد، والمعتقدة بأنه ما يزال على قيد الحياة، فلم يأت لهم على ذكر الخلافة، وإنما اكتفى في خطابه إليهم بالتركيز على فكرة تخليص الخليفة هشام المؤيد المأسور لدى المستعين، مستمداً حقه بل واجبه في ذلك من "ولاية العهد" التي منحه إياها الخليفة هشام، وأبرز لهم في ذلك كتاباً، قال إنه أرسله إليه الخليفة هشام ولاه فيه عهده، وأوكله بتخليصه من أسر المستعين، أو الأخذ له بثأره منه.

تباينت مواقف المؤرخين إزاء الكتاب المذكور، فبينما سلّم معظمهم بفحواه، وأقروا "أن هشام بن الحكم لما كان محاصراً بقرطبة كتب إليه-علي-يوليه عهده"[١٥١]، نجد آخرين قد شككوا في صحته، واعتبروه "ادعاء" و"زعماً" من علي بن حمود[١٥٢].

---

١٤٥. ابن عذاري، **البيان**، ١١٥/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١.

١٤٦. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩.

١٤٧. ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٣٠/٤.وانظر عن الدولة الإدريسية:العربي،إسماعيل،**دولة الأدارسة** (ملوك تلمسان وفاس وقرطبة)، دار الغرب الإسلامي،بيروت.

١٤٨. ابن بسام، **الذخيرة**، ١١٩/١/١، ١٢٠.

١٤٩. المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٩/٢٣.

١٥٠. ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٢.

١٥١. الحميدي، **جذوة**، ٣٠؛ الضبي، **بغية**: ٤٦/١؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩؛ النويري، **نهاية**، ٤٢٩/٢٣.

١٥٢. ابن الأبار، **الحلة**، ٧/٢؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٦/٣، رواية المظفري وهو المظفر بن الأفطس (ت: ٤٦١هـ) صاحب بطليوس الذي ألف كتاباً في الأخبار والأمثال سماه "المظفري".

أيد ابن حيان– شيخ مؤرخي الأندلس– أن الخليفة هشاما بعدما تأكد من نهاية دولته على يد الخليفة المستعين، قد "صير إلى علي {بن حمود}، ولاية عهده، وأوصى إليه بالخلافة من بعده"[١٥٣]، وذلك لرفعة بيته وبعد صيته[١٥٤]، ونكاية بآل عمه الناصريين، لتمالئهم عليه "وقيامهم واحداً بعد واحد في خلعه"، فرماهم من علي {بن حمود} هذا بثالثة الأثافي"[١٥٥]، وأوكل إليه مهمة الانتقام له من المستعين، المحاصر له داخل أسوار قرطبة "فدس إليه، أن الدولة صائرة إليك، وإن خاطري يحدثني أن هذا {يعني المستعين }يقتلني، فإن فعل، فخذ بثأري"[١٥٦]، وأقر المؤرخ ابن الخطيب صحة الكتاب ووروده إلى علي بن حمود من العاصمة قرطبة، ولكنه أسند كتابته وإرساله إلى العامريين والهاشميين بقرطبة لا إلى الخليفة هشام، فقال: "صرف بعضهم إلى علي بن حمود أمير سبتة من الحسنيين عهداً منسوباً إلى هشام وبخطه زعموا، يعهد فيه بالأمر من بعده إلى علي بن حمود وتوليته الطلب"[١٥٧]، ورأي ابن الخطيب يتفق كثيراً مع شخصية الخليفة هشام التي اعتادت الحياة بالظل وترك الدولة لمدبرين يحكمون الدولة باسمه منذ تولّيه الخلافة.

يتضح مما سبق، أن الكتاب بعث إلى علي بن حمود من قرطبة-وعلى الأرجح- من موالي هشام المؤيد فيها، فتمسك به لأنه سهل له "سبيل طلب الخلافة"[١٥٨]، ولم يعن بالتأكد من مرسله، فالمهم ما احتواه، وبدأ بناء عليه بمخاطبة الناقمين على المستعين وخاصةً الفتيان الصقالبة.

كان في مقدمة هؤلاء الناقمين، الفتى خيران العامري، الذي هرب من قرطبة عقب استيلاء المستعين عليها، واتخذ من المرية مقراً للتأليب عليه، وبدأ يكاتب الناس بضرورة الثورة؛ لتخليص الخليفة المأسور هشام المؤيد[١٥٩]، وما إن وصلته دعوة علي بن حمود حتى سارع إليها بالقبول والتأييد، ودعاه للقدوم إلى الأندلس، فعبر إليها في أواخر سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٣م، فبايعه فقط بـ"ولاية عهد هشام"[١٦٠]، وأيده في ذلك عامر بن فتوح وزير الخليفة هشام حاكم مالقة[١٦١]، وبنو زيري البربر الصنهاجيين حكام البيرة[١٦٢]، ومنذر بن يحيى التجيبي حاكم سرقسطة[١٦٣]، فعظم بهم

---

١٥٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٧/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٤/٣، ١٢٠؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٩؛ ابن الخطيب، لسان الدين (ت: ٧٧٦هـ/١٣٨٤م)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق، محمد عبد ا عنان، مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٩٧٣م: ٥٦/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٨٢/١ (رواية ابن حيان).
١٥٤. ابن عذاري، **البيان**، ١٢٠/٣.
١٥٥. ابن بسام، **الذخيرة**، ٣٧/١/١-٣٨.
١٥٦. المصدر السابق، ٤٣/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢٠/٣؛ المقري، **نفح**، ٤٨٢/١.
١٥٧. ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١.
١٥٨. المصدر السابق، ١٢١؛ المقري، **نفح**، ٤٨٢/١.
١٥٩. السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية**، دار النهضة العربية –بيروت،ط١، ١٠٦٩م :٦٢.
١٦٠. الحميدي، **جذوة**، ٢٠؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩؛ النويري، **نهاية**، ٤٣٠/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٢؛ **الإحاطة**، ٥٦/٤.
١٦١. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩.
١٦٢. ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣.
١٦٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ١١٨/١/١.

شأن علي بن حمود وقوي أمره، واستقر في مالقة، "وأظهر أنه ما وصل إلا لنصرة هشام"[١٦٤].

انتشرت دعوة علي بن حمود وخيران العامري في الأندلس بسرعة كبيرة، وانضم إليها العديد من الناقمين على الخليفة المستعين، والمؤيدين لعودة الخليفة هشام المؤيد، فتشكلت حركة عسكرية توجهت من مالقة إلى قرطبة للاستيلاء عليها، ولم يكن الأمر عسيراً، ففي شهر محرم ٤٠٧هـ/ تموز ١٠١٦م تمكّنوا من دخولها، وخلع المستعين[١٦٥]، وهي المرة الأولى التي يلي فيها الخلافة في حاضرة بني أمية أحد من العلويين[١٦٦].

اقتضت مخططات خيران-المؤمن بأن المؤيد مسجون لدى المستعين -[١٦٧]، المسارعة إلى فك أسره وإعادته إلى سدة الخلافة، فما إن دخلها حتى بدأ بالبحث عنه، ولكنه فوجئ بالمستعين يخبره بموته، وعلى عكس خيران، فقد سر هذا الأمر-تأكيد وفاة الخليفة هشام المؤيد- علي بن حمود، وأراهما المستعين جثته، ثم أعيد دفنه [١٦٨]، بعد أن تم التأكد من شخصه من قِبل بعض فتيان القصر، الذين أدلوا بشهادتهم أمام خيران وعلي، ولكن نُمي إلى خيران أن شهادة الفتيان لم تأت إلا في سياق خشيتهم على أنفسهم من علي بن حمود، وإنما الحق أن المؤيد حي[١٦٩]، ومما زاد من شك خيران في صحة وفاة هشام، شهادة والد الخليفة المستعين الذي أنكر قتل الخليفة هشام، وأكد أنه "حي يرزق"[١٧٠].

أما مخططات ابن حمود فقد أملَت بأن لا يعثر على الخليفة هشام؛ لأن وجوده يقف حجر عثرة في سبيل ما يسعى إليه من الاستيلاء على الخلافة، فما إن أُخبر بموت الخليفة هشام المؤيد حتى سارع في حشد الدعم لتلك الرواية بهؤلاء فتيان القصر، ثم "أسرع"[١٧١] في قتل الشيخ الحكم والد المستعين؛ لإسكات الأصوات المشككة بوفاة الخليفة هشام، ثم عمد إلى قتل المستعين وجماعة من بني أمية، وطيف بهم في قرطبة، والمنادي يصيح- لإشهار الخبر وتأكيده- "هذا جزاء من قتل هشاما المؤيد"[١٧٢]، وبويع بعدها بالخلافة، وتسمى بالناصر في السابع من شهر محرم سنة

---

١٦٤. ابن عذاري، **البيان**، ١٢٠/٣؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٥٦/٤.

١٦٥. الحميدي، **جذوة**، ٢٠؛ الضبي، **بغية**، ٤٧/١؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٤١/١/١-٤٢؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩؛ النويري، **نهاية**، ٤٣٠/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٩/٣-١٢٠.

١٦٦. مكي،**تاريخ الأندلس**،٩٨/١.

١٦٧. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٠/٩؛ سالم، تاريخ مدينة المرية،٦٣.

١٦٨. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤١/١/١-٤٢؛ النويري، **نهاية**، ٤٣١/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣؛ الصفدي، صلاح الدين خليل (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، شتوتغارت، ١٩٩١م: ٦٣/٢.

١٦٩. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧١/٩.

١٧٠. ابن عذاري، **البيان**، ١١٧/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١.

١٧١. انظر، ابن عذاري، **البيان**، ١١٧/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١.

١٧٢. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٢/١/١؛ ابن حزم، **رسائل**، ٥٩/٢؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٢؛ ابن الأبار، **الحلة**، ٧/٢؛ النويري، **نهاية**، ٤٣١/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٧/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢١.

٤٠٧هـ/ كانون الثاني ١٠١٦م[١٧٣]، وهكذا فشلت المحاولة الأولى في إعادة الخلافة إلى بني أمية، بل نقلتها عنهم إلى الحموديين من بني هاشم.

٤-ب. مجاهد العامري والخلافة:

تزامن مع ثورة علي بن حمود على الخليفة المستعين، محاولة أخرى قام بها منفرداً عن بقية الفتيان الصقالبة، الفتى مجاهد العامري، وهدفت إلى إقامة خلافة أموية في شرق الأندلس، حيث غدت المناطق الشرقية موئلاً لمؤيدي الخلافة الأموية، ولم تفكر هذه المحاولة في ما فكرت فيه سابقتها من خلع الخليفة المستعين أو قتاله، ولا حتى في الاستيلاء على قرطبة، وإنما هدفت إلى تنصيب خليفة أموي، كغطاءٍ للانفصال في دولة أموية مستقلة في شرق الأندلس، تعتمد في حكمها الفعلي على أحد الفتيان العامريين، وتستمد شرعيتها من أحد أفراد الأسرة الأموية، وهي سابقة لم يجرؤ عليها أحد قبله.

كان مجاهد في قرطبة إبان انهيار دولة بني عامر ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م[١٧٤]، فخرج عنها إلى دانية، واستولى عليها مع الجزائر الشرقية، ولم يظهر في حاف خيران والحموديين لإعادة الخليفة هشام المؤيد، بل فكر في محاولته المستقلة بإحياء الخلافة الأموية في مناطقه، ووقع اختياره على أحد فقهاء بني أمية، ولكن من غير بيت عبد الرحمن الناصر، فاستدعى الفقيه المشاور عبد ا بن عبيد ا بن الوليد بن محمد بن يوسف بن عبد ا المعيطي[١٧٥]، وأحد المقربين من الخليفة المستعين[١٧٦]، فقدم إليه في جمادى الآخرة سنة ٤٠٥هـ/ تشرين الثاني ١٠١٤م[١٧٧].

بايع مجاهد العامري الفقيه عبد ا المعيطي في دانية والجزائر الشرقية[١٧٨]، وأثبت اسمه في السكة والأعلام[١٧٩]، وسماه "المنتصر با "، أمير المؤمنين[١٨٠]، ونعته ابن الأثير بـ "شبه خليفة"[١٨١]، وهي تسمية دقيقة ودالة على حاله.

لم تلاق دعوة مجاهد والخليفة المنتصر با قبولاً من أحد من "أمراء الفتنة"[١٨٢]، واستعظم

---

١٧٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٩٧/١/١-٩٨؛ الحميدي، **جذوة**، ٢١؛ النويري، **نهاية**، ٤٣١/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢٠/٣-١٢٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٢٩؛ **الإحاطة**، ٥٦/٤.

١٧٤. الحميدي، **جذوة**، ٣٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٥٤/٤.

١٧٥. عياض،عياض بن موسى (ت: ٥٥٤هـ/١٠٤٩م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**، تحقيق، أحمد بكير محمود، دار ومكتبة الحياة – بيروت، ١٩٦٧م: ٧٤٥/٣؛ ابن بشكوال، **الصلة**، ٤١٢/٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٧٦. ابن بسام، **الذخيرة**، ١١٤/١/١.

١٧٧. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٩٠/٩؛ النويري، **نهاية**، ٤٦٦/٢٣؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠؛ مكي،**تاريخ الأندلس**، ٩٨/١،ويرى أن ذلك تم في جمادى الثانية سنة ٤٠٤هـ/ كانون الثاني١٠١٤م.

١٧٨. عياض، **ترتيب**، ٧٤٦/٣؛ ابن بشكوال، **الصلة**، ٤١٢/٢؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٧٩. ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٨٠. ابن عذاري، **البيان**، ١١٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٨١. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٩٠/٩؛ انظر، النويري، **نهاية**، ٤٦٦/٢٣.

١٨٢. عياض، **ترتيب**، ٧٤٦/٢.

الخليفة المستعين جرأة مجاهد العامري والمنتصر با في دعواهما، وبدأ يخاطب موالي بني أمية المقيمين في شرق الأندلس شارحاً لهم بطلان ما أقدم عليه المعيطي وعلي بن حمود، آملاً أن يعودوا إليه وتجتمع الكلمة عليه، لكنه لم يوفق[١٨٣].

أقام مجاهد والخليفة المنتصر في دانية زهاء خمسة أشهر، ثم انطلقا إلى جزيرة ميورقة[١٨٤]؛ استعداداً لانطلاق مجاهد في حملته نحو جزيرة سردينيا، وذلك في ربيع الأول سنة ٤٠٦هـ/ آب ١٠١٥م، وعاد منها بعد فشله في تحقيق أهدافه أواخر السنة[١٨٥].

استغل الخليفة المنتصر غياب مجاهد، ففكر بالإطاحة به، ورتب لذلك حين عودته للقبض عليه[١٨٦]؛ إذ أراد أن يمارس سلطاته كاملةً غير منقوصة، والتخلص من تهمة "شبه الخليفة"، فعلم مجاهد بذلك،فما كان منه حين عودته إلا أن قبض على المنتصر ومؤيديه[١٨٧]، وخلعه من "إمرة المؤمنين"[١٨٨]، وعاتبه على سوء أمانته وإدارته، بل واتهمه بالاستئثار بالأموال والمجاهرة بالمعاصي وظلم العباد[١٨٩]، ونفاه عن أراضيه إلى شمال إفريقية[١٩٠]، وبقي في بجاية بالجزائر يؤدب الصبيان حتى وفاته سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[١٩١].

هكذا فشلت مرة ثانية محاولة أحد الفتيان الصقالبة في إقامة خليفة أموي، ومرد ذلك عائد إلى تزامن دعوته مع دعوة علي وخيران الهادفة إلى إعادة الخليفة هشام المؤيد الخليفة الشرعي من وجهة نظر أهل الأندلس، على عكس المعيطي الذي لم يكن من بيت الخليفة عبد الرحمن الناصر الذين تكرست فيهم الشرعية الأموية، كما أن عدم قناعة الحزب الأموي عموماً بجدوى إقامة خلافة أموية خارج العاصمة الأموية قرطبة، وانفراد مجاهد العامري وعدم إشراكه الفتيان الصقالبة في محاولته تلك، كان من ضمن العوامل المؤدية إلى فشل هذه المحاولة، ويمكن القول إن شخصية المعيطي القوية، التي أرادت أن تمارس دورها كخليفة فعلي، قد لعبت أيضاً دوراً في ذلك؛ إذ إن هذا الأمر لم يرق لمجاهد العامري، الذي أراد تنصيب خليفة أموي ضعيف، يحكم من خلاله دولة أموية في شرق الأندلس، ففوجئ بشخصية المنتصر القوية؛ فخلعه من الخلافة؛ لأن

---

١٨٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤١/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١١٦/٣؛ الصفدي، **فوات**، ٦٣/٢.

١٨٤. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٩٠/٩؛ ابن عذاري، البيان، ١١٦/٣.

١٨٥. ابن الخطيب، أعمال، ٢٢٠؛ عنان، محمد عبد ا ، **دولة الإسلام في الأندلس (الطوائف)**، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م، ١٩٢/٢،كليكا سارنيللي، **مجاهد العامري** قائد الأسطول العربي في غرب المتوسط في القرن الخامس الهجري،ط ١،القاهرة،١٩٦١م..

١٨٦. عياض، **ترتيب**، ٧٤٦/٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٥٤/٤.

١٨٧. عياض، **ترتيب**، ٧٤٦/٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٨٨. ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠؛ ابن بشكوال، **الصلة**، ٤١٣/٢.

١٨٩. ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٩٠. عياض، **ترتيب**، ٧٤٦/٢؛ ابن بشكوال، **الصلة**، ٤١٣/٢؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٠.

١٩١. عياض، **ترتيب**، ٧٤٦/٢، بينما ذكر ابن الأثير أن المعيطي مات في ميورقة قبل عودة مجاهد العامري من سردينيا. انظر، ابن الأثير، **الكامل**، ٢٩٠/٩؛ النويري، **نهاية**، ٣٦٧/٢٣.

السلطة تقتضي الانفراد، كما ذكر ابن خلدون[١٩٢].

٤-جـ. أهل الأندلس والخلافة:

جرت المحاولة الثالثة لإعادة الخلافة الأموية، بعد فشل المحاولتين السابقتين، واستمدت أهميتها من كونها جمعت في ثناياها عناصر النجاح التي افتقدتها المحاولتان السابقتان، فقد شارك فيها معظم أهل الأندلس والفتيان الصقالبة؛ الحزب المؤيد لإعادة الخلافة الأموية، ضد البربر؛ الحزب المؤيد للخلافة الحمودية، وهم أكثر –أي الحزب الأول- من حيث العدد والعدة مما عليه الحزب الثاني، كما أن هذه المحاولة تمحورت حول أحد أبناء عبد الرحمن الناصر مستند الشرعية الأموية، وتوجهت كذلك للخلاص من البربر والخلافة الحمودية، في مقر الخلافة الأزلية للأمويين، العاصمة قرطبة.

بعد أن فشلت تجربة خيران مع علي بن حمود في استعادة الخلافة الأموية في قرطبة، وأسفرت عن قيام الخلافة الحموديه، أصبح خيران يمثل عبئاً سياسياً بالنسبة للناصر، فأحس خيران ببوادر الهلاك، لذا ولّى هارباً سراً إلى المرية في شرق الأندلس، حيث يكثر وجود المؤيدين للخلافة الأموية، ومن هناك خلع طاعة الحموديين[١٩٣].

أيقن خيران بعد إقامته في قرطبة بفقدان شخص الخليفة هشام المؤيد، لذا بدأ بالبحث عن شخص أموي آخر من أبناء الخليفة عبد الرحمن الناصر للالتفاف حوله لمناهضة الحموديين، واستعادة الخلافة منهم، ووقع اختياره على عبد الرحمن بن محمد بن عبد ا (عبد الملك) بن عبد الرحمن الناصر[١٩٤]؛ إذ لم يجد من بني أمية "أسد للخلافة منه، بورعه وعفافه ووقاره"، فبايعه بالخلافة ولقبه المرتضى[١٩٥]، وذلك على الأرجح في شهر رمضان سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م[١٩٦].

حظيت مبايعة المرتضى بمؤازرة الحزب الأندلسي المكون من العرب والفتيان العامريين والصقالبة المعادين للحزب البربري، الذين "صعب عليهم ملك بني حمود العلويين بسبب البربر، فأرادوا رجوع الإمامة إلى بني مروان"[١٩٧]، فتنادوا إلى بيعته، "واتفق عليه أكثر أهل

---

١٩٢. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **المقدمة**، دار القلم، بيروت، ط٦، ١٩٨٦م: ٢٠٦.

١٩٣. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧١/٩؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣٠؛ سالم، **تاريخ مدينة المرية**، ص٦٣.

١٩٤. ابن حزم، **رسائل**، ٥٠/٢، ٥٨؛ **الجمهرة**، ١٠١؛ الحميدي، **جذوة**، ٢١، الضبي، **بغية**، ٤٩/١؛ الصنهاجي، الأمير عبد ا (ت: ٤٨٣هـ/١٠٩٠م)، **مذكرات الأمير عبد ا أو التبيان**، تحقيق، ليفي بروفنسال، دار المعارف – مصر، ١٩٥٥م ص٢٠؛ المراكشي، **المعجب** ص٣٧؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٩/ص٢٧٢؛ النويري، **نهاية**: ٢٣/ ص٤٣١؛ ابن عذاري، **البيان**، ٣/ص١٢١؛ ابن خلدون، **التاريخ**: ٣٥١، ٣٥٤؛ المقري، **نفح**، ٤٨٤/١؛ عنان، **دولة الإسلام**، ع١، ق٢ ص: ٦٦٠.

١٩٥. ابن بسام، **الذخيرة**، ٩٩/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣، ١٢٣؛ المقري، **نفح**، ٤٨٣/١.

١٩٦. تقديراً على ما ذكرته المصادر من أن علي بن حمود قد تغيرت سياسته تجاه أهالي قرطبة بعد ثمانية أشهر من توليه الحكم؛ لتعاطفهم مع حركة المرتضى. انظر: ابن بسام، **الذخيرة**، ٩٩/١/١، ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣.

١٩٧. المقري، **نفح**، ٤٨٤/١.

الأندلس"[١٩٨]، حتى أهالي قرطبة الذين يقيم بكنفهم الخليفة الناصر علي بن حمود، قد أظهروا تعاطفهم مع دعوة المرتضى، فأحس الخليفة الناصر بذلك، مما دفعه إلى تغيير معاملته لهم[١٩٩].

اختلف الانقسام في المجتمع الأندلسي عما كان عليه، ففي السابق كان الخلفاء الذين تتحزب حولهم أطياف المجتمع من الأسرة الأموية، أما الآن فالوضع قد تبدل؛ إذ أصبح عندهم خليفة أموي وخليفة آخر حمودي، ولكل منهما مؤيدوه ومناصروه، والصدام بين الفئتين على وشك الحدوث.

بدأ الخليفة المرتضى حراكه السياسي والعسكري في المناطق التابعة له في شرق الأندلس؛ للوقوف على مدى الاستعداد من أجل اللقاء الحاسم في قرطبة مع الخليفة الناصر الذي استقر فيها وبدأ يستعد لذلك اللقاء أيضاً، فانتقل المرتضى من مدينة المرية إلى مدينة بلنسية وأقام فيها مدة، والتقى هناك مؤيديه ومؤازريه[٢٠٠]، ثم انتقل منها إلى مدينة شاطبة برفقة خيران العامري، واتخذها مقراً مؤقتاً [٢٠١].

عقد المرتضى اجتماعين في شاطبة، كان الأول بظاهرها في موضع يعرف بالرياحين، وحضر الاجتماع كل من: منذر بن يحيى التجيبي حاكم سرقسطة[٢٠٢]، وسليمان بن هود الجذامي حاكم لاردة[٢٠٣]، ومجاهد العامري حاكم دانية والجزائر الشرقية، بعد فشل تجربته الخاصة مع الخليفة المنتصر[٢٠٤]، ومبارك ومظفر العامريين حاكمي بلنسية وشاطبة[٢٠٥]، وذلك في شهر رمضان سنة ٤٠٨هـ/ كانون الثاني ١٠١٨م فاجتمع كل هؤلاء "ومعظم الفقهاء والشيوخ، وجعلوا الخلافة شورى، واصفقوا على بيعته"[٢٠٦]، وأصبح مذ ذلك كما قال عدوه زاوي بن زيري "إمام الجماعة"[٢٠٧].

لم يكن ممكناً بقاء هذه الجموع في شاطبة – مدة سبعة شهور – حتى تتحدد ساعة الانطلاق العسكري، لذا يظهر أن هذه القيادات العسكرية وبعد بيعة المرتضي، قد عاد كل منها إلى محلّته، ثم قدموا إليه مرةً أخرى في اجتماع ثانٍ، كان من حيث التاريخ بعد اغتيال الخليفة الناصر في قرطبة في ذي القعدة سنة ٤٠٨هـ/ آذار ١٠١٨م،[٢٠٨]، وقبيل المعركة الفاصلة مع زاوي بن

١٩٨. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٢/٩؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣٠؛ **الإحاطة**، ٤٦٦/٣؛ المقري، **نفح**، ٤٨٣/١.
١٩٩. ابن بسام، **الذخيرة**، ٩٩/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢١/٣.
٢٠٠. ابن حزم، **رسائل**، ٢٦٢/١، وكان ابن حزم من ضمن من قدم إليه في مدينة بلنسية داعماً ومؤيداً.
٢٠١. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٦/١/١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٢/٩.
٢٠٢. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٦/١/١؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٣٨٦/٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٥١/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٨٥/١.
٢٠٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٤/١/١.
٢٠٤. ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٥٤/٤، وحضوره محل شك؛ إذ لم يكن قد مضى على تجربته مع الخليفة المنتصر الأموي مدة طويلة، علاوةً على أنه لم يظهر له دور في ما يلي من أحداث، ولم يدعم رأي ابن خلدون رأي آخر.
٢٠٥. ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٢٩٧/٣.
٢٠٦. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٢/٩؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٤٦٦/٣.
٢٠٧. ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٤٧٧/١.
٢٠٨. ابن عذاري، **البيان**، ١٢٤/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣٠.

زيري في جمادى الأولى سنة ٤٠٩هـ/ أيلول ١٠١٨م.

لم يصِب الاجتماع الثاني التوفيق المطلوب، مع أن الظروف العامة في الأندلس، كانت مبشرة بنجاح هذه المحاولة لاستعادة الخلافة؛ وذلك لأنها جاءت عقب اغتيال الخليفة الناصر، وظهور بوادر الخلاف في البيت الحمودي على خلافته بين أخيه وأولاده [٢٠٩]، لكن الاجتماع المشار إليه أبان عن تصدع وحدة صف أهل الأندلس، وبروز تيارين متعاديين في تركيبة هذا الاتحاد، تزعم الأول الفتى مبارك العامري[٢١٠] حاكم بلنسية وشاطبة، بينما تزعم الثاني منذر التجيبي وخيران العامري[٢١١].

تبدى الاختلاف في صف أهل الأندلس منذ أن قدم منذر التجيبي للقاء الخليفة المرتضى في شاطبة – محل مطامعه السياسية القديمة منذ ما قبل ظهور الخليفة المرتضى- [٢١٢]؛ إذ عرج عليها للدخول إليها، فلم يسمح له حاكمها الفتى مبارك بذلك خشية من أطماعه فيها، مما أغضبه ودفعه حين التقى الخليفة المرتضى إلى محاولة إيغار صدره على مبارك، لكن لم يستمع الخليفة إليه، بل أعذر مباركاً في تصرفه، فحقد منذر التجيبي العربي على الخليفة الأموي؛ جراء عدم نصرته على الفتى مبارك الصقلبي [٢١٣]. ومما جمع بين منذر التجيبي وخيران العامري وتشكيلهما تياراً مناوئاً بالخفية للخليفة المرتضى، طريقة معاملة الخليفة للتيار الأول، فقد ظهر إقباله على "أهالي بلنسية وشاطبة"، في حين بدت عليه إمارات الجفاء للتيار الثاني ممثلاً بخيران ومنذر، فلم يقبل عليهما، "فندما على ما كان منهما" [٢١٤]، ومما ضاعف من ندمهما ما "رأوه من صرامته، فخافوا عواقب تمكّنه، وقدرته"[٢١٥].

وقد أشار السيد عبد العزيز سالم إلى الدور المؤثر الذي لعبه الخليفة المأمون الحمودي، حينما بدأ يخاطب بعض قيادات حزب المرتضى مقدماً إليهم المغريات المتنوعة، حتى أثمرت هذه السياسة، وحولت "خيران والحزب العامري عن تعضيد الحزب المرواني"، فأضمرا الكيد له وخذلانه في معركته المقبلة[٢١٦].

---

٢٠٩. انظر: ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٨١/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٣٠/٣؛ المقري، **نفح**، ٤٨٤/١.

٢١٠. توفي مظفر العامري في ذي الحجة سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م فاختفى اسمه من التيار الأول برفقة صديقه مبارك.

٢١١. لم يشر أحد من المؤرخين إلى بدايات التصدع والانقسام الذي أصاب حزب المرتضى، ولكن يمكن تقدير ذلك منذ بدايات التجمع العسكري في شاطبة، وقد وضح هذا الانقسام بين التيارين على نحوٍ دقيق في مجريات المعركة الحاسمة التي جرت تالياً، حينما تخلّى القسم الثاني عن الخليفة المرتضى في المعركة تماشياً مع الانقسام الذي أصابهم منذ البدايات.

٢١٢. انظر: جانباً من خلفية الصراع العسكري بين منذر ومبارك على مدينة شاطبة في، ابن الخطيب، **أعمال**، ٢٢٦.

٢١٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٦/١/١.

٢١٤. ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٢/٩.

٢١٥. الحميدي، **جذوة**، ٢١-٢٢؛ ابن حزم، **رسائل**، ٢٦١/٢؛ الضبي، **بغية**، ٤٩/١؛ المراكشي، **المعجب**، ٣٧؛ النويري، **نهاية**، ٤٣١/٢٣؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٦٤٨هـ/١٣٧٤م)، **سير أعلام النبلاء**، أشرف على تحقيقه، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م، ١٣٥/١٧-١٣٦.

٢١٦. سالم، **تاريخ مدينة المرية**،٦٤.

أجمعت المصادر على خشية خيران ومنذر من عواقب تمكّن الخليفة المرتضى[٢١٧]، وهذا ينبئ بنوايا خيران ومنذر الخفية، من إقدامهما على الالتفاف حول خليفة أموي، فهم لا يريدان إلا خليفةً ضعيفاً ليست لديه قدرات سياسية، يديران مشروع الدولة القادم من خلال ضعفه، فهم لا يسعيان مع المرتضى إلا إلى استنساخ تجربة المنصور بن أبي عامر مع الخليفة هشام (**حاجب قوي وخليفة ضعيف**)، وما أبانه الخليفة المرتضى حينما اشتد ساعده بمؤازريه، من قوة وعزم وحزم لا يتوافق أبداً مع طموحات كل من منذر وخيران، اللذين دأبا على تسيير أمورهما على مبادئ المكر والخديعة[٢١٨]، حتى إن المثل قد ضرب في الأندلس بغدر منذر لتكراره فعل ذلك[٢١٩]، لذا ما إن تعرفا قدرات المرتضى، حتى بدلا نياتهما، وبررا ذلك بقولهما: "أرانا في الأول[٢٢٠] وجهاً ليس بالوجه الذي أرانا حين اجتمع إليه الجم الغفير، وهذا ماكر غير صافي النية"[٢٢١]، وبدأت لديهما خطط التخلص منه.

لم يجرؤ خيران ومنذر في إظهار خططهما الغادرة على الناس؛ لاستحكام محبة الخليفة المرتضى في قلوبهم، ولصدقهم في محاولة إحياء الخلافة الأموية على يديه، بل شرعا في تدبير أمر خيانتهما بالخِفية، وتمثلت خطتهما في إضعاف الجيش قبل وصوله إلى قرطبة، أو الإطاحة به كليةً.

تمثلت خطة خيران ومنذر بافتعال معارك جانبية، لا ضرورة لها، فبعد أن كانت النية معقودة على محاربة الخليفة القاسم بن حمود في قرطبة بعد أن خلف أخاه فيها[٢٢٢]، نجدهما قد زينا للخليفة المرتضى ضرورة محاربة غرناطة وفيها بنو زيري الصنهاجيين المؤيدين للخلافة الحمودية في قرطبة، والاستيلاء عليها، وهذا ليس تكتيكاً عسكرياً، وإنما كما ذكر ابن حيان "لما ارتأوا من الغدر بسلطانهم"[٢٢٣].

لم يقدم خيران ومنذر على تلك الخطة العسكرية الغادرة إلا بعد إحكام نية الغدر بالمرتضى مع زاوي بن زيري في غرناطة، فراسلاه وأحكما معه خطة ترك المرتضى وحده في المعركة

---

٢١٧. انظر،المصادر في الحاشية قبل السابقة.

٢١٨. انظر، ابن عذاري، **البيان**، ١٧٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٩٦، ٢١٢.

٢١٩. انظر، ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٥/١/١؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٣٨٦/٣.

٢٢٠. أقدر أن معنى "الأول" هنا هو اللقاء الأول من اللقاءين اللذين عقدهما المرتضى في شاطبة، فالأول كان للمبايعة والثاني للشروع في العمل العسكري، الذي أشرت إليهما سابقاً، ففي الأول كان لا يزال آنذاك في طور الاستئلاف لكل من يأتي إليه، وهذا يتطلب منه اللين والمسالمة والرفق، وهو ما ظهر عليه المرتضى أولاً، وأما " حينما اجتمع إليه الجم الغفير"، فقد اشتد ساعده، وظهر على مقدار قوته من خلال كثرة مؤازريه ومؤيديه، وعدم الاقتصار على منذر وخيران، وهذا يتطلب منه الشدة والحزم والقوة، وهو ما ظهر عليه المرتضى ثانياً.

٢٢١. المقري، **نفح**، ٤٨٥/١.

٢٢٢. ذكر ابن الخطيب أن الخليفة المرتضى قام في سنة ٤٠٩م على الخليفة القاسم بن حمود، وليس كما ذكرت بقية المصادر على الخليفة علي بن حمود، وهو يسجل بذلك تاريخ الحركة العسكرية التي قادها المرتضى ضد الحموديين، التي ما بدأت إلا بعد وفاة علي في (ذي القعدة ٤٠٨م) وتسلّم القاسم الخلافة بعده في قرطبة. انظر، ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣٠، وروايته في، المقري، **نفح**، ٤٨٤/١.

٢٢٣. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٣/١/١ (رواية ابن حيان)، ابن عذاري، **البيان**، ١٢٥/٣.

المرتقبة، ثم عمدوا إلى المرتضى وأقنعوه بأنه لا يصلح المسير " إلى قرطبة، ووراءنا هذا العدو – يعنون زاوي –"[٢٢٤]، فوجدوا منه فتوراً في مسألة تحويل مسير الجيش نحو غرناطة، لذلك جددوا الاتصال بزاوي، وطلبوا إليه أن يعمد- في حال عدم قدوم المرتضى إليه في غرناطة- إلى المبادأة والتعرض لقوات المرتضى، وأن يـ "قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه إلى قرطبة"، وأكدوا له أنهم سينسحبون من المعركة ويتخلّون عن المرتضى هم وأصحاب الثغور[٢٢٥]، واعترف زاوي لاحقاً أن النصر الذي حققه على المرتضى قد جاء بفضل "غدر ملوكهم لسلطانهم ليهلكوه"[٢٢٦]، وهو ما يؤكد الاتصالات المسبقة بين الطرفين.

خفيت على المرتضى خيوط المؤامرة المحبوكة خفية مع زاوي، واعتقد أن دخول غرناطة تحت سلطانه أمر يزيد من قوته، ويعد ضربة مبكرة في قوات خصمه، فأقدم- وتحت إلحاح من خيران ومنذر- على مخاطبة زاوي يدعوه إلى الدخول في طاعته، وقد تلطف في مراسلاته إليه، على عكس الردود الصارمة التي جاءت من زاوي، والتي أغضبت المرتضى[٢٢٧]، حتى قرر "ترك المسير إلى قرطبة، وعدل إلى محاربته"[٢٢٨] في غرناطة، وهو ما سعى إليه خيران ومنذر.

لم يكتف خيران ومنذر بذلك، بل إنهما عمدا إلى تثبيط همة الجيش، وبث الفرقة في صفوفه، وأشاعا فكرة غدر الموالي العامريين بين جموع المشاركين في الجيش، وخاصةً فرقة النصارى المشاركة في جيش المرتضى [٢٢٩]، ثم إنهما سلكا في طريقهما بالجيش نحو غرناطة مسالك صعبة لإنهاكه قبل لقائه بجيش غرناطة[٢٣٠].

وصل جيش المرتضى إلى ظاهر غرناطة في أواخر شهر ربيع الثاني سنة ٤٠٩هـ/ أيلول ١٠١٨م، وهو يعتقد أن معركته مع زاوي لن تدوم سوى ساعة[٢٣١]؛ إذ كانت قواته تقارب الأربعة آلاف، فيما لا تناهز قوات غرناطة الألف[٢٣٢]، والتقى الطرفان وصبرا أياماً، حتى أنفذ خيران ومنذر وعدهما لزاوي، وانسحبا من المعركة، وتبعهما سليمان بن هود[٢٣٣]،فتضعضع جيش المرتضى، ولم يصبر بعد ذلك معه سوى الفتيان العامريين (التيار الأول) حتى حلّت أخيراً

---

٢٢٤. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٣/١/١.
٢٢٥. المصدر السابق، ٤٥٦/١/١؛ المقري، **نفح**، ٤٨٥/١.
٢٢٦. ابن عذاري، **البيان**، ١٢٩/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣١.
٢٢٧. الأمير عبد ا ، **المذكرات**، ٢٢-٢٣؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٣/١/١-٤٥٤؛ المقري، **نفح**، ٤٨٥/١.
٢٢٨. الأمير عبد ا ، **المذكرات**، ٢٢؛ المقري، **نفح**، ٤٨٥/١.
٢٢٩. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٤/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٦٣/٣.
٢٣٠. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٧/١/١.
٢٣١. الأمير عبد ا ، **المذكرات**، ٢٢؛ المقري، **نفح**، ٤٨٥/١.
٢٣٢. الأمير عبد ا ، **المذكرات**، ٢٢.
٢٣٣. انظر عن موقف سليمان في المعركة: ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٥/١/١؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٣٨٦/٣.

الهزيمة عليهم جميعاً[٢٣٤]، واتبع خيران ومنذر من قبض من جندهما على الخليفة المرتضى في وادي آش ثم قتله، وأحضر رأسه إليهما في المرية[٢٣٥]، وذلك في ٣ جمادى الأولى ٤٠٩هـ/ أيلول ١٠١٨م[٢٣٦].

أكدت المعركة خسران الحزب الأندلسي؛ لخيانة قادته للمبادئ العامة التي تنادوا إليها، بطغيان المآرب الخاصة على العامة، وفوز الحزب البربري، فلم يجتمع لأهل الأندلس جمع بعدها "وأقروا بالإدبار، فركدت ريح المروانية من ذلك الوقت، وقُتل من نجا منهم بأطراف الأرض، وأيس الناس من دولتهم، وألوى الخمول بجملتهم"[٢٣٧].

تقدم زاوي بن زيري عقب انتصاره بهدية رمزية للخليفة القاسم بن حمود في قرطبة؛ اعترافا منه بسلطته عليه؛ إذ بعث إليه بالسرادق الخاص بالخليفة المرتضى، فتلقفه القاسم ونصبه على نهر قرطبة ليراه الجميع، فكان أهلها يأتون إليه، ويتأملونه وقلوبهم" تتقطع حسرات"[٢٣٨].

فشلت أهم حركة جمعت في ثناياها عدداً كبيراً من أهل الأندلس ممن يأملون بإحياء خلافة بني أمية، وتكرست بذلك خلافة جديدة في قرطبة بزعامة الخليفة القاسم بن حمود، وترسخ الحكم الحمودي فيها، الذي لن يطول أمده، بآفة انقسام الأسرة الحمودية، تلك الآفة التي أنهت الأسرة الأموية، ولن يمثل عودة الخلفاء الأمويين الثلاثة (المستظهر، المستكفي، المعتد) إلى قرطبة في ما بعد، إلا حادثاً محلياً قرطبياً لا يشمل غيرها، وقد صدق ابن حزم حين علّق على أمر بني أمية بعد وفاة المستعين بقوله: "وانقطع بموته أمر بني مروان بالأندلس: حاشا من قام منهم، ممن لم يفْشَ لهم أمر"[٢٣٩].

خاتمـة

لم تفلح المحاولات الأموية المتعاقبة في استرداد الدولة الأموية الموحدة والموحدة لفئات المجتمع الأندلسي، بل كرست الخلاف والانقسام داخل الدولة، وذلك عائد إلى ما يأتي:

١- إن غياب الأسرة الأموية عن مسرح الحياة السياسية منذ وفاة الخليفة الحكم المستنصر ٣٦٦هـ/٩٧٦م وطيلة أيام دولة بني عامر حتى ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، قد أفقد أبناء هذه الأسرة كثيراً

٢٣٤. الأمير عبد ا ، **المذكرات**، ٢٢-٢٣؛ ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٥/١/١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ٢٧٢/٩؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢٦/٣؛ ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣٠-١٣١؛ **الإحاطة**، ١١٥/٣، ٢٨٦، ٢٩٧؛ النويري، **نهاية**، ٤٣١/٢٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٥٤/٤.

٢٣٥. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٥/١/١؛ ابن سعيد، **المغرب**، ١٩٤/٢؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢٧/٣؛ ابن خلدون، **التاريخ**، ٣٥١/٤؛ المقري، **نفح**، ٤٨٦/١.

٢٣٦. ابن الخطيب، **الإحاطة**، ٤٦٧/٣.

٢٣٧. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٥/١/١؛ انظر، ابن الخطيب، **أعمال**، ١٣١؛ **الإحاطة**، ٥١٦/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢٧/٣-١٢٨؛ المقري، **نفح**، ٤٨٦/١.

٢٣٨. ابن بسام، **الذخيرة**، ٤٥٦/١/١؛ ابن عذاري، **البيان**، ١٢٨/٣.

٢٣٩. ابن حزم، جمهرة، ١٠٢.

من مهاراتها السياسية المؤهلة لقيادة الدولة، فجاءت تجارب الخلفاء الأمويين (المهدي، هشام المؤيد، المستعين) مكرسةً للانقسام داخل المجتمع الأندلسي بدلاً من إعادة الوحدة إليه، فائتلاف كل خليفة منهم بفئة أو طائفة من أهل الأندلس وترك البقية، مما غيب الوحدة وأحضر الفرقة.

٢- إن الخلاف السياسي داخل الأسرة الأموية (الصراع الأموي – الأموي) كان مبعث الخلاف والافتراق العام الذي أصاب المجتمع الأندلسي، فتفرق المجتمع نتيجة لتفرق الأسرة، وقد فقدت الأندلس وحدتها حينما فقدت الأسرة الأموية وحدتها.

٣- إن تجارب الأمويين المتوالية في محاولة استرداد الخلافة وتحزب أفراد هذه الأسرة (الخلفاء) حول بعض فئاتها، قد أفقد الناس أو بعضهم الثقة في قدرة هذه الأسرة على إعادة الأمور إلى سابق عهدها، فأصبح ذلك عائقاً أمام إعادة الوحدة على أيديهم، ودافعاً إلى الزهد فيهم، ودفع كثيراً من الناس إلى البحث عن غيرها من الأسر الأندلسية والائتلاف حولها؛ لإعادة الوحدة المنشودة، وهذا ما ظهر بجلاء في الفترة التالية،حينما ظهرت "دول الطوائف"، فهي في معظمها دول طائفية لأسر عريقة، أرادت أن تحاكي تجربة الأسرة الأموية، فاجتهدت أن تضطلع بالدور الذي اضطلعت به الأسرة الأموية، ولكنها لم توفق في تحقيق الوحدة العامة.

٤- إن سيطرة مفهوم "**دولة الحاجب**"، التي كرسها في الأندلس الحاجب المنصور بن أبي عامر في أثناء حجابته للخليفة هشام المؤيد، على أذهان قادة المجتمع السياسي الأندلسي، قد أسهم وعلى نحوٍ كبير في إفشال محاولات استعادة الدولة؛ إذ كرس هؤلاء القادة جهودهم لاستنساخ تجربة المنصور مع أبناء الأسرة الأموية، كتجربة مجاهد العامري مع الخليفة المنتصر، وتجربة خيران ومنذر مع الخليفة المرتضى.

٥- كان طغيان المآرب الشخصية على قادة المجتمع السياسي الأندلسي، أحد أبرز أسباب فقدان الوحدة في الأندلس وخسارتها، وقد برز ذلك على نحوٍ واضح في أهم المحاولات الأموية وآخرها، وأعني حركة المرتضى، فقد مثلت هذه الحركة آخر أمل لعدد كبير من أهل الأندلس في إحياء الخلافة واستعادة الوحدة.

٦- مع أنه لا يمكن تحديد حادثة واحدة تصدق تماماً على كامل الأراضي الأندلسية في مسألة تعيين بدء فترة "ملوك الطوائف" كما وضح من الآراء المتعددة التي وردت في متن البحث لتحدد بداية الفترة، إلا أنه يمكن القول إن البداية الحقيقية لفترة "**ملوك الطوائف**" في الأندلس قد بدأت بفشل حركة المرتضى سنة ٤٠٩/١٠١٨م؛ إذ عاد كل طرف شارك فيها إلى منطقته، رافضاً فكرة إحياء الخلافة الأموية من جديد، وبدأ كل منهم يفكر في إنشاء دولته الخاصة "الطائفية" بعد أن فشلت الدولة العامة الأموية الأندلسية.

٧- غابت بفشل هذه المحاولات عن الأندلس والأندلسيين فكرة الدولة الواحدة، ولم يبلغوا طريقاً لها بعد ذلك، وكل ما عرفه أهل الأندلس بعد ذلك من محاولات للدولة الواحدة إنما جاءتهم من شمال إفريقية ممثلة بالمرابطين والموحدين، ولم تكن من إنتاج أهل الأندلس.



The Attempts to Revive the Umayyad Caliphate in al-Andalus (399-409 A.H./1008-1018 A.D.)

*Yousef Ahmad Bani Yasseen**

ABSTRACT

This study attempts to describe Ummayad reactions to the proposed Ameriya and Hamudiya Caliphates as the Ummayads sought to restore their authority in Andalucia. The Amir coup and the restoration of the Umayyad Caliphate under the caliphs al'Mahdi and al'Musta'in are described, as is the establishment of the Hamudiya Caliphate and the principle elements of its claims to legitimachy. The research ends with the failure of the al-murtada movement, the last attempt by the Umayyads and their supporters to revive the Umayyad Caliphate, which was ultimately abolished by the Hamudiyeen.

Keywords: Umayyad Caliphate, Ameriya Caliphate, Hamudiyeen, al- murtada movement.

* Dept. of History, Faculty of Arts, the University of Jordan .
Received on 25/9/2008 and accepted for publication on 24/3/2009.